# المشير محمد عبد الغنى الجمسى

# أكتوبر وما بعده !

obeikandl.com

obeikandl.com

* فى حرب ١٩٦٧ لم يكن لدى القوات المصرية قيادة محترفة، كما اتخذ عبد الناصر قرارات سياسية لم تكن القوات المسلحة قادرة على تنفيذها!

* أمن النظام كان الهاجس المسيطر على الفكر السياسى والفكر العسكرى المصرى عام ١٩٦٧.

* لم يتدخل السادات - مطلقاً - فى الخطة العسكرية لحرب ١٩٧٣.

* عبد الحكيم عامر زار القوات المسلحة ثلاث مرات فى ست سنوات، ولم يسأل عن شىء خاص بالتسليح أو التدريب أو التخطيط!

* حرب ١٩٧٣ استعداداً، وتخطيطاً، وتنفيذاً تكتب لعهد السادات، وإعادة بناء القوات المسلحة تكتب لعهد عبد الناصر ولست مع هذا ولا ذاك!

* كان هدف السوفييت الحفاظ على التفوق الإسرائيلى، وتمكين مصر وسورية من الدفاع عن نفسيهما فقط!

* حركة الطيران الإسرائيلى قبل العبور كانت ضعيفة للغاية ولم نرصد سوى طائرة واحدة على شاشة الرادار.

* ١٤ أكتوبر كان يوما فاصلا فى الحرب.

* لو كان تطوير الهجوم بدأ يوم ٩ لاختلفت النتائج، إلا أن المشير أحمد إسماعيل رأى ضرورة الوقفة التعبوية على الرغم من مناقشتى له طويلاً.

* أحمد إسماعيل كان حريصاً وبطيئاً أكثر من اللازم مثل مونتجمرى!

* تم احتواء الثغرة تماماً، ولم يسحب المصريون أية قوات من الشرق لحصارها!

* الشاذلى عرض رأيه العسكرى فى موضوع الثغرة ولم يك منهاراً كما قال السادات.

* أقسم بالله أننى لا أعرف أسباب عزل الشاذلى - حتى الآن - وقد سألت أحمد إسماعيل، فأجابنى: «هذا قرار سياسى»!

* استخدمت مصر صواريخ «سكود» من بداية حرب ١٩٧٣ إلى نهايتها.

* على عكس الفولكلور السائد.. الفرقة الرابعة المدرعة لم تُقحم فى شرق القناة ولم تتدخل فى الحرب.

* السادات حسم الأوضاع - بعد الخلاف فى القيادة العامة - ورفض سحب جندى واحد من الضفة الشرقية للقناة لمواجهة الثغرة فى الغرب!

* بحثت فى محلات الملابس العسكرية - ليلاً - عن رتبة مشير لأعلقها مرة واحدة فى رحلة بحرية مع السادات.

* تدخلت القوات المسلحة فى انتفاضة يناير ١٩٧٧ بعد انهيار سلطة الدولة!

* لم أكن أشعر بارتياح لإقحام الجيش فى مواجهة الاضطرابات المدنية!

* نعم اغرورقت عيناى بالدموع أثناء مفاوضات فك الاشتباك الأول لأن كيسنجر ركز على أمن إسرائيل ولم يهتم بأمن مصر!

* قال لى كيسنجر: «يا عزيزى الجنرال.. لقد اتفقت مع السادات على كل شىء»!

* اصطحب بيجن وزير دفاعه عيزرا فايتسمان إلى كامب ديفيد، بينما استبعد السادات وزير حربيته من حضور المفاوضات!

* هناك تشابه كبير بين أخطاء صدام العسكرية والسياسية فى حرب الخليج، وأخطاء عبد الناصر العسكرية والسياسية فى حرب ١٩٦٧.

* فى حرب ١٩٧٣ كنا نتوقع أن تستخدم إسرائيل سلاحها الكيماوى وليس النووى، ولكن الكاكى فى دمى ولن أتحدث عن الروادع المصرية فى الصحافة.

* العرب لم يترجموا الدروس المستفادة من حرب ١٩٧٣ إلى سياسات تنفيذية.

**(أغسطس ١٩٩٢)**

**«٦ اكتوبر ١٩٧٣»**

الساعة الثامنة صباحاً، توقفت عربة عسكرية أمام مقر القيادة العامة للقوات المسلحة الذى أُطلق عليه اسم كودى «برقم ما».

نزل من العربة ضابط برتبة كبيرة، ملامحه تشى بجدية وصرامة.. (فيما بعد أخبره الإسرائيليون أنهم حاولوا أن يجدوا له صورة واحدة يتسم فيها فلم يجدوا)!!

دخل الى المركز محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات، الذى كان قد انتقل إليه بجهاز الهيئة - التى يشرف عليها منذ أول أكتوبر - وأشرف على فتح مراكز القيادة العامة للقوات البحرية والجوية وقوات الدفاع الجوى.

شوارع القاهرة كانت مزدحمة عند الظهر - كعادتها فى أيام شهر رمضان المعظم - حيث يتحرك المواطنون للتبضع قبل الإفطار.. ووسط هذه الشوارع تحركت عربة بسرعة السهم أفسح لها بعض رجال المرور الطريق باهتمام شديد.

كانت العربة تقل الرئيس السادات والمشير أحمد اسماعيل، وقد ارتدى كل منهما أفرول القتال الكاكى، بينما كان السادات يمسك فى يده بعصاه الشهيرة التى صنعها من فرع شجرة عمرها ١٢٠ عاما فى استراحة القناطر الخيرية (فى محافظة القليوبية المتاخمة للقاهرة).

وفى تمام الساعة الواحدة دخل السادات إلى المركز ذى الرقم الكودى وجلس فى المكان المخصص له وإلى يمينه أحمد إسماعيل وإلى يساره الفريق سعد الدين

الشاذلى رئيس الأركان، بينما كان الجمسى رئيس هيئة العمليات فى وضع مائل يفرد أمامه مجموعة من الخرائط.

كان هذا هو المشهد الذى سبق شرارة ١٩٧٣ بساعة واحدة، ولعل عبد الغنى الجمسى واحد من أقدر الذين يمكن أن يرووا قصة هذه الحرب، ما سبقها وما تبعها. هو أحد الذين أسهموا بدور رئيسى فى الإعداد للحرب وإداراتها، ثم هو قائد الجيش بعدها، وأخيراً هو أحد أطراف مرحلة التفاوض من أجل السلام.

وعن أكبر الحروب التى خاضها العرب يروى المشير محمد عبد الغنى الجمسى نائب رئيس الوزراء المصرى ووزير الدفاع الأسبق هذه القصة..

. . . . . .

**د. عمرو عبد السميع:** كنت رئيساً لهيئة عمليات القوات المسلحة المصرية إبّان حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، كيف كان الفارق - فى تقديرك - بين استعداد وأداء هيئة العمليات فى هذه الحرب بالمقارنة مع حرب ١٩٦٧؟

**المشير الجمسي:** لا وجه للمقارنة بين الحربين من وجهة نظر العمليات الحربية سواء من حيث التخطيط أو إدارة العمليات.

بمعنى آخر: فإن الأخطاء التى ارتكبناها فى حرب يونيو ١٩٦٧ وترتب عليها هزيمة القوات العربية «السورية والمصرية والأردنية» واحتلال سيناء والضفة والجولان، كانت هى الدرس المعلم الذى أرسى أسس الاستراتيجية العسكرية والسياسة لحرب أكتوبر ١٩٧٣.

فى حرب يونيو أُتخذت قرارات سياسية بواسطة رئيس الدولة لم تكن القوات المسلحة قادرة على تنفيذها، أى: لم تكن هناك استراتيجية عليا للدولة تربط بين الهدف السياسى الذى أراد الرئيس عبد الناصر أن يحققه، والهدف العسكرى الذى كان يأمل فى أن يحققه عبد الحكيم عامر بواسطة القوات المسلحة.

بينما فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان الهدف السياسى واضحاً وكذا الهدف العسكرى، وبلغ التنسيق من الجانبين مداه إلى درجة أن القيادة العسكرية وضعت

أمام القيادة السياسية توقيتات - من وجهة النظر الفنية - لبدء الحرب، وفى الوقت ذاته سهل تحرك القيادة السياسية إقليمياً ودولياً مهام القوات المسلحة فى الحرب.

فى عام ١٩٦٧ لم تكن لدى القوات المصرية قيادة عسكرية محترفة، فلا عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، ولا شمس بدران وزيرالحربية آنذاك كانا مؤهلين لقيادة القوات المسلحة بحكم خبرة أيهما الطفيفة فى العمل العسكرى، والدرجة المحدودة من العلم العسكرى التى تلقياها، باختصار.. لا تأهيل ولا تشكيل!!

كانت الأوامر تصدر من القيادة العليا إلى القيادة العامة للقوات المسلحة، أو قادة الجيوش والمناطق، وعلى الجميع التنفيذ من دون الاشتراك فى اتخاذ مثل هذه القرارات، بينما الأسلوب العسكرى السليم يحتم أن يستمع القائد إلى المرءوسين كمستشارين له، وعندما يتخذ القرار يصبح الجميع ملتزمين بهذا القرار.

هذا لم يحدث مطلقاً فى ظل وجود عبد الحكيم عامر بدليل أن عبد الناصر عندما سأله قبيل إغلاق مضايق تيران يوم ٢٣ مايو عام ١٩٦٧ عما إذا كانت القوات المسلحة جاهزة، أجابه: برقبتى يا ريس!، وهذا كلام ما كان يجب أن يحدث من القائد السياسى أو القائد العسكرى، لأن القائد السياسى عندما يريد تقرير شىء ما يجب أن يتأكد من أنه قادر على تنفيذه سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، أما أن يأخذ قراراً ويسأل - فى اليوم نفسه - عما إذا كانت قواته جاهزة فإن هذا دليل على أن مثل هذه النوعية من القرارت كانت تؤخذ على غير أساس. ومن جانبه يؤكد القائد العسكرى فى جملة بسيطة سريعة أن القوات جاهزة!!

من قال إن القوات المصرية كانت جاهزة فى عام ١٩٦٧؟، كان جزء كبير من قواتنا فى اليمن، ولم يكن الموجود من هذه القوات فى مصر قادراً على النهوض بتنفيذ الخطة الدفاعية فى سيناء، الأمر الذى حتم على القيادة العامة استدعاء الاحتياطى الذى كان غير مدرب بدليل أن جزءاً منه - كما قال الفريق أول محمد فوزى - ذهب إلى الحرب بالجلابيب!

وربما كانت السمة الأساسية للأخطاء المشتركة للقيادتين السياسية والعسكرية عام ١٩٦٧ أن هاجس أمن النظام كان مسيطراً على الفكر السياسى والفكر العسكرى المصرى عام ١٩٦٧.

أى أن الدولة كانت تدار بأسلوب الأمن، وعبد الحكيم عامر قاد القوات المسلحة بأسلوب الأمن، وليس بالأسلوب العسكرى الصحيح.

. . . . . .

كل هذا لم يحدث إطلاقا فى حرب ١٩٧٣، ولا فى الفترة التى أعقبت حرب يونيو، فقد بدأنا تعديل الأخطاء التى ارتُكبت تدريجياً، ومن هنا جاءت إعادة بناء القوات المسلحة المصرية على أساس جديد سليم وهو ما أهّل القوات المسلحة المصرية أن تدخل حرب أكتوبر بكفاءة.

كان القادة مؤهلين، والخطة العسكرية وُضعت لتتماشى مع الهدف العسكرى، والقائد السياسى لم يتدخل فى الخطة العسكرية مطلقاً، ومن هنا كان النجاح الاستراتيجى لمصر فى حرب ١٩٧٣، يضاف إلى ذلك التنسيق المصرى - السورى الذى كان إضافة من لون جديد على الحركة العسكرية العربية، وشتان ما بين هذا التعاون المصرى - السورى فى ١٩٧٣، وبين استخدام سورية لاستدراج القوات المسلحة المصرية عام ١٩٦٧.

## * شهادة شخصية

**د. عمرو عبد السميع:** يعن لى فى هذا السياق أن أسألك عن زاوية لم تذكرها فى هذا السرد، وهى رؤيتك الشخصية من موقعك فى حرب ١٩٦٧، ومن موقعك فى القوات المسلحة فى الطريق إلى أكتوبر ١٩٧٣؟

**المشير الجمسي:** فى حرب ١٩٦٧ كنت فى سيناء فى مركز القيادة المتقدم للقائد العام للقوات المسلحة الذى كان يقوده - آنذاك - الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى، يليه اللواء أحمد إسماعيل، يليه محمد عبد الغنى الجمسى، كنا - إذن - نمثل القيادة العامة للقوات المسلحة فى سيناء استعداداً - كما قيل فى ذلك

الوقت كمخطط - لحضور المشير عبد الحكيم عامر إلى سيناء ليقود المعركة بنفسه!

كان إنشاء هذا المركز فى حد ذاته غير صحيح، ورؤيتى الشخصية كانت أن هذا أمر يتعارض مع الأسلوب العسكرى الصحيح الذى تعلمناه فى حياتنا العسكرية كلها، بدءاً من كلية أركان الحرب إلى كلية الحرب العليا وأكاديمية ناصر العسكرية وكذا دراساتنا فى الخارج!

مركز القيادة الذى أُنشئ فى سيناء كان حلقة غير مطلوبة بين قائد الجيش فى سيناء الفريق صلاح محسن وبين القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية، فإذا كانت الأخيرة تقود الأسلحة المصرية برية وبحرية وجوية ودفاعاً جوياً، بينما الأولى تقود التحرك فى سيناء، فما هى ضرورة وجود المركز الذى كنا نعمل فيه مع الفريق مرتجى، وما قيمة هذا المركز؟ وبالتالى لم نؤد عملاً يذكر فى سيناء عام ١٩٦٧، لدرجة أن أمر الانسحاب وإخلاء سيناء صدر - مع شديد الحزن والأسف - من المشير عبد الحكيم عامر إلى الفريق صلاح محسن من دون أن نعلم نحن فى مركز القيادة المتقدم، إلى أن علمنا بعدها بساعات وعن طريق المصادفة أن القرار صدر!

**د. عمرو عبد السميع:** ذهب قائد عظيم من القيادة فى سيناء إلى القيادة العامة للقوات المسلحة قبيل الحرب، وبعد عدة تحركات هوجاء للقوات المصرية بين المحور الشمالى والمحور الجنوبى، وبين اتخاذ أوضاع دفاعية أو هجومية، ليسأل القيادة: «ما هى مهمتنا بالضبط؟». ماذا كان دورك فى المناقشات التى سبقت إرسال هذا القائد العظيم من الجبهة إلى القاهرة؟

**المشير الجمسي:** بعد إفراط فى التحركات والأوامر المتعارضة المتناقضة بدا جلياً أن القوات المصرية أُنهكت من هذه التحركات قبل الحرب، كما أُنهكت القيادات فى وضع الخطط التى تعرف أن القوات غير قادرة على تنفيذها، ومن هنا أصبح التساؤل الذى يدور لدى قيادة الجيش الميدانى بقيادة الفريق صلاح محسن هو: «ما هى مهمتنا بالضبط؟».

.وأرسل الفريق صلاح محسن لهذا الغرض اللواء حسن الجريتلى رئيس عمليات الجيش الميدانى الموجود فى سيناء الى القاهرة ليسأل: «ما الذى نفعله فى سيناء؟ وماذا تريدون منا بالضبط؟ وهل ستهاجم القوات أم ستدافع؟».

هذه التساؤلات - فى حد ذاتها - كانت تعبر عن حالة تتجاوز الخيال، فهذا الجيش المحتشد فى سيناء، والذى يقف قاب قوسين أو أدنى من معركة عسكرية، لم يكن يعرف مهمته ولم يكن يعرف أساساً لهذه التحركات العشوائية التى تطلب منه!

ولم يأخذ اللواء الجريتلى أية إجابة على أسئلته وعاد من القاهرة إلى الجبهة بخفى حنين!

**د. عمرو عبد السميع:** ماذا كان دورك فى المناقشات التى سبقت هذه المهمة وأعقبتها؟

**المشير الجمسي:** كنت أتساءل مع الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى، واللواء أحمد إسماعيل عما يحدث فى سيناء، وما هى مهمتنا فيما أُسمى مركز القيادة المتقدم، فليس لنا دور فى قيادة قوات سيناء لأن الذى يقودها هو الفريق صلاح محسن، وليس لنا دور فى التخطيط، لأن التخطيط يتم فى القيادة العامة للقوات المسلحة فى القاهرة، وليس لدينا احتياطى نؤثر به فى المعركة لو حدث أى شىء غير متوقع، وتصاعدت مناقشاتنا وامتدت من دون أن نصل إلى شىء.

**د. عمرو عبد السميع:** ألم تخطر ببال أحدكم - آنذاك - مخاطبة القيادة السياسية مباشرة؟

**المشير الجمسي:** لا يحق لمركز القيادة المتقدم، أو قائد الجيش الميدانى أن يصل بالقيادة السياسية أو برئيس الدولة، وإلا كان ذلك تعبيراً عن الفوضى العسكرية، تسلسل القيادة حتمى فى القوات المسلحة، ثم - افتراضاً - لو أن

أحدنا رفع سماعة الهاتف وخاطب رئيس الدولة، ماذا يعلم رئيس الدولة عن الموقف العسكرى؟ وماذا يفهم منه؟ هذا لا يحدث فى أية دولة فى العالم.

**د. عمرو عبد السميع:** ولكن رئيس الدولة فى مصر هو القائد الأعلى للقوات المسلحة بما يعطيه وضعاً خاصاً إزاء الجيش؟

**المشير الجمسي:** هذا منصب شرفى، ولو أطلقنا موضوع الاتصال بالقيادة السياسية فى القوات المسلحة فهذا يعنى عدم اتباع سلسلة القيادة، وبالتالى تفقد القيادة العليا السيطرة على القوات المسلحة، كما تفقد الدولة السيطرة على القوات المسلحة.

والوحيد الذى يحق له أن يتكلم فى موضوع سياسى مرتبط بالاستراتيجية العسكرية هو القائد العام للقوات المسلحة، وهو عبد الحكيم عامر - آنذاك - وهو لصيق بجمال عبد الناصر وهما شقيقان وأخوان (خصوصى وميرى وقيادة)!! وبالتالى ليس هناك معنى لأن يخاطب أحد من القوات المسلحة القيادة السياسية مباشرة.

**د. عمرو عبد السميع:** ما هى خبرة تعاملك الشخصى مع عبد الحكيم عامر؟

**المشير الجمسى:** عندما تولى عبد الحكيم عامر القيادة العامة للقوات المسلحة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، كنت أنا قائد آلاى مدرعات وكانت رتبتى صغيرة لا تسمح لى بأن أتصل به مباشرة، ولكنه كان رأس القوات المسلحة الذى أعمل تحت قيادته.

ولقد مر عبد الحكيم علىّ عندما كنت قائد لواء مدرع، ولم يستغرق هذا المرور أكثر من ٣٠ دقيقة، اهتم فيها بالمعنويات، وسأل عما إذا كانت هناك مشاكل خاصة للأفراد، ولكنه لم يسأل أبداً عن الناحية الفنية لقيادة اللواء، أو موقف الدبابات، أو موقف التخطيط أو التدريب، لقد زار عبد الحكيم عامر القوات المسلحة ثلاث مرات فى ست سنوات!

## * من الصفر

**د. عمرو عبد السميع:** انقضت ما بين الحربين ست سنوات وأربعة أشهر ويوم واحد، هل كانت هذه الفترة كافية - فى تقديرك - لتفسير الفارق الجوهرى بين أداء الجيش المصرى فى كل منهما؟

**المشير الجمسي:** فى نهاية حرب ١٩٦٧ عندما تفككت القوات المسلحة المصرية، وأصبحت بقايا وحدات، بدأنا مرحلة جديدة لإعادة بناء القوات المسلحة من الصفر، وأؤكد أنها كانت من الصفر، وهذا بشهادتى الشخصية وبشهادة الفريق أول محمد فوزى، اختلف الأسلوب، واختلفت طبيعة الجندى نفسه بدخول الجنود الحاصلين على المؤهلات العليا والذين غيروا معالم القوات المسلحة، وأصبح التدريب جدياً، والتخطيط للعمليات أصبح - هو الآخر - جديا، وتغيرت القيادات كلها لتصبح قيادات محترفة، وتعاون الجميع بفكر جديد ونظام جديد، وهذه المرحلة تحتسب للشعب المصرى، وللقيادة العامة للقوات المسلحة - آنذاك - التى تمكنت من إعادة البناء فى هذه الظروف الصعبة، بما جعلنا نقف على أقدامنا ويستطيع الجيل نفسه الذى هُزم فى ١٩٦٧ تحقيق انتصار ١٩٧٣.

**د. عمرو عبد السميع:** فى هذا الإطار استخدم تعبير (تحول الاستراتيجية العربية من الدفاع إلى الهجوم) لتفسير الفارق بين الأداء العربى فى حربى ٦٧، ٧٣، فيما رأى بعض الخبراء أن ذلك قول غير دقيق.. فما تقويمك أنت؟

**المشير الجمسي:** أنت تقصد بالاستراتيجية العربية خطة الجامعة العربية أو القيادة العربية المشتركة التى كان يقودها الفريق أول على على عامر، وسأركز كلامى على هذا:

نحن - أولاً - لم تكن لدينا سياسة استراتيجية موحدة على مستوى الوطن العربى منذ إنشاء الجامعة العربية، ولم يوضع تخطيط سياسى أو عسكرى لتحقيق الأهداف العربية من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٧٣ سواء كان دفاعياً أو هجومياً.

ولقد عملت أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية عام ١٩٧٣، وأعرف ماذا كان يدور فى هذه الجامعة.

**د. عمرو عبد السميع:** وماذا كان يدور فى هذه الجامعة؟

**المشير الجمسي:** فى يناير ١٩٧٣ عقد مجلس الدفاع المشترك فى جامعة الدول العربية، وقدمت مصر فيه تقريرها على لسان المشير أحمد إسماعيل القائد العام للقوات المسلحة المصرية فى ذلك الوقت، وكنت عضواً فى هذا الاجتماع، وقلنا بمنتهى الوضوح - ويُرجع فى هذا إلى سجلات الجامعة العربية من ٢٧ الى ٣٠ يناير - إنه لا توجد سياسة عربية موحدة، ولا توجد استراتيجية عسكرية موحدة، ولا يوجد قائد عام واحد، وباختصار لا يوجد شىء اسمه تعاون عسكرى عربى.

وقد تعلمت إسرائيل هذا المبدأ مثلما تعلمناه نحن: «لا تعاون عسكرى عربى».

لقد حاولنا فى الاجتماع - السابق الإشارة إليه - أن نحقق تعاوناً عسكرياً عربياً، لتصبح قوة ٢١ دولة عربية فى مواجهة إسرائيل، وفشلنا ومن هنا دخلنا حرب أكتوبر بتعاون بين مصر وسورية فقط، وتركنا لبقية الدول العربية أن تتدخل وتعاون وتساعد بالطريقة التى تراها.

وكان السبب فى هذا، هو الاجتماع المذكور حين تقدمت مصر بتخطيط إلى هذا المؤتمر الذى يضم كل وزراء الخارجية ووزراء الدفاع العرب، يحدد التزامات كل دولة فيما يجب أن تقدمه من قوات مسلحة موزعة على سبع دول عربية، وأقرت الجامعة هذا ولم ينفذ شىء منه، وبالتالى - كما ذكرت - دخلنا الحرب بتنسيق مع سورية فقط، وتركنا لبقية الدول أن تسهم بالطريقة التى تراها.

**د. عمرو عبد السميع:** فإذا ما تكلمنا عن الاستراتيجية فإن ذلك يفتح الباب لمناقشة معك حول بعض الذين قالوا أو كتبوا أن حرب ١٩٧٣ كانت تراجعا عن الهدف الاستراتيجى المصرى لتحرير سيناء فى الخطة جرانيت (١) أو جرانيت (٢)؟

**المشير الجمسي:** لقد عمد بعض الكتاب والمحللين إلى الحديث عن جرانيت (١) وجرانيت (٢) ليعطوا فضلاً للرئيس جمال عبد الناصر، ويسلبوا فضلاً من الرئيس السادات، أو بمعنى آخر: كانوا يريدون القول إن حرب ١٩٧٣ تم التخطيط لها بواسطة الرئيس جمال عبد الناصر وعبر خطتى جرانيت (١) وجرانيت (٢).

والواقع أن خطتى جرانيت كانتا موجودتين ضمن خطط عديدة للقوات المسلحة المصرية لتحرير سيناء.

وسوف يثبت التاريخ أن جمال عبد الناصر أعاد بناء القوات المسلحة المصرية بعد حرب يونيو وهذا فضل يكتب له تاريخياً، أما حرب أكتوبر ١٩٧٣ استعداداً وتخطيطاً وتنفيذاً فتكتب لعهد السادات، وأنا لست مع هذا ولا ذاك ولست ضد هذا أو ذاك.

كانت الفترة ما بين يونيو ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣ تمثل ست سنوات عجاف فى تاريخ مصر، وكان التخطيط المصرى يضع فى اعتباره تقسيم الفترة بالتزامن مع إعادة بناء القوات المسلحة إلى مراحل تبدأ بالصمود ثم بالدفاع ثم الدفاع النشط ثم الاستنزاف، وكان لكل من هذه المراحل خطة بأسماء مختلفة، وسعى كل إلى الحديث عن هذه الخطط بما يخدم هيئته السياسية، بل إن أحد العسكريين كتب فى مذكراته أنه كانت لدى القيادة المصرية بالإضافة إلى خطتى جرانيت، خطة أخرى تسمى (٢٠٠) لتحرير سيناء فى ١٢ يوماً.

ولقد شاركت فى وضع كل هذه الخطط، بما فيها الخطة (٢٠٠) التى اشتركت فيها بوصفى رئيس أركان جبهة قناة السويس عندما كان يتولى قيادتها أحمد إسماعيل، وكانت هذه الخطة دفاعية للدفاع عن منطقة القناة والدولة وليست لتحرير سيناء فى ١٢ يوماً!!!.

*** صادق**

**د. عمرو عبد السميع:** بعد مؤامرة مراكز القوى على الرئيس السادات فى مايو ١٩٧١ أصبح الفريق أول محمد صادق وزيراً للحربية خلفاً للفريق أول

محمد فوزى، وكانت تلك الفترة غائمة وعائمة تضاربت فيها الأقوال عن عام الحسم، وعن حالة اللاسلم واللاحرب ، وعن اختلاف الرؤى بين الحرب المحدودة والحرب الشاملة، واتسمت هذه الفترة كذلك بتضارب رأى القيادة السياسية والقيادة العسكرية فيما يتعلق بالموضوع العسكرى، وهو ما ينفى ما كنت تقول -حالاً- من أن السادات كان بعيداً عن التدخل فى التخطيط لحرب ١٩٧٣؟

**المشير الجمسي:** الفترة التى تولى فيها الفريق أول محمد صادق عمل وزير الحربية هى فترة تكملة وامتداد لفترة الفريق أول محمد فوزى.

والعنصر الحاكم فى تلك الفترة هو السلاح المطلوب لمصر وسورية لتحرير أراضيهما.

مصر كانت تواجه بدعم الولايات المتحدة الأميركية لإسرائيل بالكميات والأنواع والتوقيتات التى تضمن التفوق العسكرى الإسرائيلى، وفى الجانب الآخر كان السوفييت يدعمون مصر وسورية بالسلاح بأنواع وتوقيتات وكميات تضمن التفوق العسكرى الإسرائيلى، وتمكن مصر وسورية من الدفاع عن أراضيهما من دون شن حرب.

وكان الجدل حول موضوع السلاح هو الموضوع الرئيسى لفترة الفريق أول صادق، وأخذ طابعاً سياسياً تصارعت فيه الأقوال بينه وبين السادات، ولا يعنى هذا تدخل السادات فى التخطيط للحرب، ولم يحسم هذا الموضوع أبداً، بل أقرر كرئيس لهيئة عمليات القوات المسلحة المصرية وقت حرب ١٩٧٣ أننا دخلنا هذه الحرب والعدو له التفوق العسكرى بينما الوضع الطبيعى أن يكون المهاجم له التفوق.

**د. عمرو عبد السميع:** أعود فأسألك فى النقطة ذاتها من مدخل آخر: ما هو تقويمك للموقف السوفييتى تجاه مصر وبخاصة فيما يتعلق بالانتقادات التى تعرض لها الاتحاد السوفييتى السابق حول تقصيره فى دعم مصر بالمقارنة بالدعم

الأميركى لإسرائيل، وهل هناك أساس فى العلم العسكرى لمقولة (السلاح الدفاعى) الذى اتهمت موسكو بأنها قصرت دعمها لمصر عليه، عندما قيل - مثلاً - إنها لم تزود مصر بقاذفة مقاتلة بعيدة المدى من نوع مماثل للفانتوم؟

**المشير الجمسي:** من الناحية الفنية لا يمكن التفرقة بين السلاح الهجومى والسلاح الدفاعى، لأن السلاح الموجود عندى يمكن أن أستخدمه بطريقة هجومية أو بطريقة دفاعية.

ولكن قبلما تدخل حربا أو تقوم بأى عمل عسكرى لابد أن تجرى ما يسمى (مقارنة قوات)، ونحدد فى هذه العملية ما لدينا وما لدى العدو من أسلحة، بأعدادها وأنواعها وكفاءتها ونضعهما أمام بعضهما.

عبد الناصر - مثلاً - كان يقول إن الطائرة الميج لا يمكن مقارنتها بالطائرة الميراج لأن مداها لا يصل إلى تغطية -حتى- سيناء، بينما الإسرائيليون يستطيعون الوصول إلى القاهرة.

أما عن العون السوفييتى، فقد قدم السوفييتى العون العسكرى إلى مصر وسورية، ولكن بما يحقق أهدافهم السياسية الاستراتيجية فى منطقة الشرق الأوسط فى مواجهة الولايات المتحدة الأميركية.

### * أركان وعمليات

**د. عمرو عبد السميع:** فى فترة التجهيز والاستعداد لحرب ١٩٧٣ تداخلت رؤى كثيرة حول دور هيئة العمليات ودور رئاسة الأركان وأعلم أنك لا تحب أن تتماس بخشونة مع أحد، ولكن فيما هو تاريخ أظن أن هذه شهادة واجبة؟

**المشير الجمسي:** تنظيم القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية يحتم وجود وزير حربية كقائد عام ورئيس أركان كنائب له، وتشمل اختصاصات رئيس الأركان الإشراف على أجهزة كثيرة، وهو مسئول عن عمل هذه الأجهزة وخصوصاً التنسيق فيما بينها.

ورئيس الأركان باعتباره شخصاً واحدا لا يمكن أن يقوم بالأعمال الكثيرة المطلوبة منه، بل يعتمد على الأجهزة التى تتبعه وأولها هيئة التنظيم والإدارة وهيئة التدريب وهيئة العمليات.

وليست هناك عزلة بين هيئة العمليات ورئيس أركان حرب القوات المسلحة، وكل شىء فى التخطيط لابد أن يعلمه رئيس أركان حرب القوات المسلحة، ويوقع عليه بجانب رئيس عمليات القوات المسلحة ثم يُصدق على هذا كله من القائد العام للقوات المسلحة وهو وزير الحربية.

وبالتالى فإن الخطة بدر (وهى خطة عمليات حرب ١٩٧٣) أنجزتها هيئة عمليات القوات المسلحة موقعة منى، ثم وقع عليها الفريق الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة آنذاك، ثم المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية.

وليس معنى هذا أن رئاسة الأركان تبصم على خطة هيئة العمليات، لأن المسئولية مشتركة، والخطة تستغرق شهوراً طويلة لإعدادها، وتحتاج لمناقشة مع ممثلى الطيران والبحرية والدفاع الجوى وقادة الجيوش الميدانية وقادة المناطق. ومجمل الآراء هذه تصب فى هيئة العمليات لتصوغ منها مفهوما (CONCEPT) للعملية، ثم تضع الخطة التى تنفذه، والتى تكون هيئة العمليات مسئولة عنها من الألف إلى الياء.

فى صياغة المفهوم وأخذ الآراء يشترك الجميع وتكون لرئيس الأركان مؤتمراته، ولوزير الحربية مؤتمراته، ولرئيس هيئة العمليات مؤتمراته، ولكن التخطيط مسئولية هيئة العمليات. قيادة الحرب عمل فريق يشترك فيه الجميع، ونجاح حرب أكتوبر يجب أن ينسب للقيادة العامة للقوات المسلحة ولا ينسب لجهاز واحد فيها، وأنا أعلم منذ بداية سؤالك أنك تريد أن تتكلم عن الفريق سعد الشاذلى.

**د. عمرو عبد السميع:** أنا لا أريد، ولكننى تكلمت فعلاً عن حالة الفريق سعد الشاذلى.. وللتاريخ أسألك عن تقويمك لدور الفريق سعد الدين الشاذلى فى الإعداد لعمليات حرب ١٩٧٣؟

**المشير الجمسي:** لقد قام بعمله كرئيس أركان حرب القوات المسلحة فى الاستعداد لحرب أكتوبر وهذا يشمل الاشتراك فى التخطيط والتدريب والتفتيش والتنظيم بالنسبة لجميع أجهزة القيادة العامة.

لا يمكن ان نهمل دور رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى ذلك الوقت أو نقلل من شأنه.

ولقد وقفت أمام المحكمة التى رفع الشاذلى أمامها قضية على إحدى الصحف العربية لمدة أربع ساعات فى وضع انتباه لأقدم شهادتى فى صف الشاذلى.

**د. عمرو عبد السميع:** وقبيل لحظة انطلاق الشرارة كيف كان الجو داخل المركز ذى الرقم الكودى الذى يضم القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية؟

**المشير الجمسي:** كنا فى انتظار صعود الطيران المصرى لتوجيه الضربة الأولى للعدو، وفى هذه الآونة كنا نتابع أعمال العدو على الرادارات، وبالذات عمل قواته الجوية باعتبارها سلاح إسرائيل الرئيسى، وقد كانت حركة الطيران الإسرائيلى - وقتها - على شاشات الرادار ضعيفة للغاية ولم نرصد سوى طائرة واحدة قبيل الضرب.

كانت لحظة البدء مكونة من ثلاثة عناصر:

١- الضربة الجوية.

٢- قصفة المدفعية المركزة.

٣- ونزول القوات البرية إلى مياه القناة فى جبهة الجيشين الثانى والثالث.

ومرت الدقائق بصعوبة فى انتظار لحظة البدء.

**د. عمروعبد السميع:** فيما بعد الحرب حينما أُعيد تمثيل جو العمليات أمام رجال الصحافة فى مقر القيادة العامة، أذكر أن كانت هناك صورة شهيرة تجمعك إلى جوار السادات وهو يتأمل بعض الخرائط ويضع أصبعه على بعض المواقع.. وهى نفس الصورة التى تم تنفيذها على لوحة جدارية فى بانوراما حرب

أكتوبر.. هل كان الرئيس الراحل يفهم فى هذه الخرائط أو يدرك تفاصيلها؟

**المشير الجمسي:** كان المشير أحمد إسماعيل هو الذى يشرح له فى هذا اليوم، وكنا نؤشر على الخرائط الموجودة أمامه، وكونه يضع أصبعه على أحد المواقع فهذا مجرد استيضاح لبعض النقاط، وأنا أفهم ما تريد، السادات لم يكن يقود العمليات، وليس له دخل بمسارها.

## خلف الخطوط

**د. عمرو عبد السميع:** بعد الحرب بشهور قليلة كنت ضمن مجموعة صغيرة من طلبة كلية الإعلام فى جامعة القاهرة تلتقى المشير أحمد إسماعيل فى مكتبه بوزارة الحربية لإجراء حديث صحفى، وكان معه اللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية، وخصنا يومها بخبر كبير يقول إن آخر المجموعات المصرية خلف خطوط العدو على وشك العودة.. كيف تذكر عملية الإعداد لدخول هذه المجموعات خلف الخطوط؟

**المشير الجمسي:** هذه نواحٍ فنية دقيقة، وكل دولة لها أسلوبها فى إدخال هذه المجموعات إلى الأرض التى يحتلها العدو أو فى أرض العدو ذاتها.

وبالنسبة لحربنا كانت هذه المجموعات تنقسم إلى مجموعات تدخل سيناء للتبليغ عن تحركات العدو الإسرائيلى أو فى إسرائيل نفسها لجمع معلومات عن أشياء بعينها.

وطريقة إدخال هذه المجموعات تختلف من واحدة لأخرى، فهناك مجموعة تدخل لهدف سهل وأخرى تدخل لهدف صعب، وهناك عميل يتم زرعه وسط مجتمع العدو لفترة طويلة، وآخر يذهب لاستطلاع موقع جهاز رادار مثلاً.

**د. عمرو عبد السميع:** لوحة العبور ذاتها بتفاصيلها التى وردت فى شهادات القادة العسكريين أو فى بعض الرؤى السياسية أو بعض كتابات الكتاب، كانت توحى وكأن العملية نفسها أُعد لها إعداداً دقيقاً بطريقة جعلت تنفيذها أمراً آلياً

بسيطاً لم يواجه بالمقاومة التى كانت متصورة.. هل أنت مع هذا الرأى؟

**المشير الجمسي:** أعارض هذا الرأى مائة بالمائة، لأنه يقلل من قيمة الإنجاز العسكرى للقوات المسلحة المصرية، ومثل هذا الرأى يذكرنى بكتاب حاييم هيرتزوج عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ والذى احتوى فصلاً بعنوان (CROSSING) والذى تكلم عن أن إسرائيل فوجئت بالحرب وحدثت فيها خسائر بينما هى دولة مسالمة، ثم قفز فجأة إلى العبور الإسرائيلى إلى غرب القناة عبر الثغرة وأخذ يفيض فى وصف أحداثها ومعاركها.

هذا لون من إبخاس القوات المصرية حقها.

التخطيط لحرب أكتوبر ١٩٧٣ كان مركزاً على عملية اقتحام قناة السويس عنوة، وهى التى تعتبر من أعقد العمليات العسكرية فى العالم خصوصاً أن المانع المائى أمام القوات المصرية كان فريداً فى مواصفاته، ومحمياً من الشاطئ الآخر بخط منيع محصن (خط بارليف).

ودربنا الأفراد على ظروف مماثلة فى الدلتا لم نترك شيئا للمصادفة، ودخلنا فى تفاصيل كثيرة لم يكن أحد يتصورها لضمان نجاح عملية العبور، التى تعد بداية الحرب، وإذا لم ننجح فيها لم نكن لننجح فى الحرب ذاتها.

درسنا حركة المد والجزر فى مياه القناة وسرعة التيار واتجاهاته والضوء وحالة الجو وكل شىء.

وكل هذه الحسابات سهلت على القوات المصرية نجاحها فى عملية العبور، وكانت المفاجأة هى الشىء الوحيد الذى ينقصها لتقليل نسبة الخسائر وإرباك العدو، ومن ثم كانت خطة الخداع التعبوى والاستراتيجى الشهيرة التى تظاهرنا فيها بالقيام بمناورة بينما كانت التحركات كلها تخدم هدف العبور نفسه.

كل هذا أثمر اقتحامنا للمانع المائى والعدو ليس جاهزاً، وبشكل مفاجئ للغاية، مما قلل خسائرنا إلى ٢٨٠ فرداً بنسبة لا تتجاوز ٢ فى المائة وهى أقل كثيراً مما قدرنا.

وفى هذا الإطار نقول: إن النجاح كان لأن التخطيط سليم والتنفيذ سليم أيضاً. الحرب ليست نزهة، ونسبة خسائر المصريين من القادة على كل المستويات أثناء العبور كانت أعلى من النسبة المعروفة دولياً لمثل هذه العمليات، لأنهم كانوا فى الخطوط الأمامية.

وهذا يعطيك فكرة عن مدى الجدية التى تمت بها عملية الاقتحام للقناة، والتى أرجو ألا يقلل أحد من عظمة الإنجاز فيها.

لقد كتب الجنرال « دى بوى » كتاباً عن حرب أكتوبر، اسمه: (ILLUSIVE VICTORY) ومدح فى الإعداد لهذه الحرب وما أنجزه المصريون فى عملية العبور، مؤكداً أن التاريخ سيذكر أنه لم تتم عملية مثلها بالكفاءة نفسها بما فى ذلك التنفيذ.

لا يمكن أن أنسب نجاح الحرب للتخطيط فقط، أو للأداء فقط وإلا ما كنت رجلاً عسكرياً.

## * مضايق

**د. عمرو عبد السميع:** بعد نجاح اقتحام القوات المصرية لمانع قناة السويس المائى، ثم عملية تطوير الهجوم التى قامت بها، لماذا لم تصل إلى خط المضايق؟

**المشير الجمسي:** القوات المصرية حددت لتطوير الهجوم يوم ١٤ أكتوبر بغرض الوصول إلى خط المضايق وهو الهدف الاستراتيجى النهائى لهذه الحرب، ولكن تستطيع اعتبار يوم ١٤، يوماً فاصلاً فى الحرب فما حدث فيه أثر على استئناف الهجوم.

فلقد نجحنا يوم ٦ أكتوبر فى الاقتحام، ثم هزمنا الهجوم المضاد للعدو الذى قام به يوم ٧ وأفشلناه، ثم هزمنا الضربة المضادة التى وجهها بكل قواته لنا يوم الثامن من أكتوبر بوجود جنرال أميركى فى مركز قيادة العدو فى تل أبيب، وبالتالى أصبحنا فى الموقف السليم القوى الذى يتيح لنا تطوير الهجوم.

وفى تخطيطنا للحرب حددنا الأيام الثلاثة الأولى للحرب لإنجاز الاقتحام ثم استقرار القوات وعلى ضوء الخسائر ومقتضيات الأمور على أرض المعركة نحدد الخطوة المقبلة التى تتحدد فى أحد احتمالين، أحدهما أن تتم وقفة تعبوية بعد يوم ٩ أكتوبر، والآخر أن يتم تطوير الهجوم مباشرة يوم ٩، وكتبت هذين الاحتمالين بخط يدى على خرائط الخطة ووقعت بإمضائى إلى جوارهما.

وطبقا للظروف التى أفرزتها الأيام الثلاثة الأولى للحرب، فإن احتمال تطوير الهجوم مباشرة يوم ٩ كان يجعل ظروفنا أفضل كثيراً، إلا أن المشير أحمد إسماعيل رأى ضرورة وقفة تعبوية لأيام قليلة لأنه كان يرى أن الدفاعات الجوية والقوات الجوية المصرية غير قادرة على حماية قواتنا أثناء تحركها من رؤوس الكبارى وصولاً إلى المضايق، وقد ناقشته فى هذا الأمر طويلاً وقلت له إن افتراضاته مردود عليها من الناحية العسكرية، لأن اقتحام خطوط العدو بسرعة لن يتيح له فرصة إقامة مواقع دفاعية، كما أن وجود قواتنا ملتحمة مع قوات العدو سيلغى إمكان استخدامه للطيران، ثم أن تحقيق النتائج النهائية للحرب أفضل حتى لو تكبدنا فيها خسائر أكبر.

ولكن أحمد إسماعيل كان من طبيعته الحرص الزائد، وكان مثل مونتجمرى الذى كان روميل ينسحب أمامه فى العلمين والجميع ينصحونه بمطاردته سريعاً، وهو يرى تنفيذ الخطة خطوة بخطوة وعلى مهل.

نعم أحمد إسماعيل كان حريصاً وبطيئاً أكثر من اللازم، ولهذا انتظرنا من يوم ٩ إلى يوم ١٣ أكتوبر أى أربعة أيام أعطت فرصة للعدو ليستعيد تنظيمه ويطلب مساعدات من أميركا وصلت له حتى يوم ١٢ (كما ورد فى مذكرات هنرى كيسنجر)، ومن ناحية أخرى فقد استغل العدو الهدوء على الجبهة المصرية فى فترة الوقفة التعبوية وكثف نشاطاته على الجبهة السورية، وبناء على ذلك ارتدت القوات السورية من الجولان وفقدت المبادأة، الأمر الذى دفع الرئيس حافظ الأسد لإرسال نائب وزير الدفاع لمقابلة الرئيس السادات، وليطلب منه تنشيط جبهة القناة لتخفيف الضغط على سورية.

أصبحت مصر فى مأزق، فقد كان القائد العام مُحرجاً لأنه القائد العام للقوات المسلحة فى الجبهتين، وسياسياً كان الرئيس السادات مُحرجاً لأن حلفه مع الرئيس الأسد يفرض عليه التزامات.

ومن ثم أصدر الرئيس السادات قرار تطوير الهجوم يوم ١٢ تلبية لرغبة سورية على أن يتم التطوير يوم ١٣.

**د. عمرو عبد السميع:** أكان هذا هو أول تدخل للسادات فى المعركة؟

المشير الجمسى: بالضبط، ولكنه أمر بتطوير الهجوم، وترك كيفية التطوير للقائد العام، الذى أمر هو الآخر بتطوير الهجوم يوم ١٣، ولكن لأسباب فنية طورت القوات هجومها يوم ١٤ بدلاً من ١٣.

**د. عمرو عبد السميع:** ما هى تلك الأسباب الفنية؟

**المشير الجمسي:** كانت الأسباب الفنية تتعلق بمحاولة تفادى تكبد القوات المصرية لخسائر أكبر، وكان أحمد إسماعيل يقول، لابد من الحفاظ على القوات المصرية سليمة، وردد هذا القول أكثر من مرة، مشيراً إلى أن القوات يجب أن تكون مؤمنة أكثر من اللازم خصوصاً أن الانهيار الذى حدث عام ١٩٦٧ ما زال عالقاً فى الأذهان.

عندما طورنا الهجوم يوم ١٤ فشل هجومنا، لأن العدو كان جاهزاً بدباباته وبصواريخ مضادة للدبابات، وظهرت طائراته فى سماء المعركة بكثافة.

أوقف هجومنا يوم ١٤ وخسرنا فيه عدداً كبيراً من الدبابات، وهذه هى البداية الحقيقية لانتقال المبادأة من اليد المصرية إلى اليد الإسرائيلية.

وعلى الرغم من أننا خسرنا عدداً كبيراً من الدبابات يوم ١٤، إلا أن عدد الدبابات التى خسرتها إسرائيل من يوم ٦ إلى يوم ١٤ كان أكبر.

**د. عمرو عبد السميع:** قبل أن نسترسل فى هذا الأمر يهمنى أن تقيم أداء القوات الجوية المصرية فى حرب ١٩٧٣ باعتبار أن هذه القوات هى التى كان

يبدو فيها أكثر الفارق التكنولوجى بين السلاح الروسى الذى نستخدمه والسلاح الأميركى والغربى الذى تستخدمه إسرائيل؟

**المشير الجمسي:** كانت مهام القوات الجوية هى القيام بالضربة الأولى، وتقديم المعاونة للقوات البرية فى مراحل المعركة المختلفة، وقتال العدو الجوى لمنعه من التعرض لقواتنا، وقد قامت بكل هذه المهام خلال حرب ١٩٧٣ بكفاءة وإن كانت المبادأة تحولت فى الفترة بعد يوم ١٦ إلى العدو ليضمها إلى المبادأة البرية أيضاً.

**د. عمرو عبد السميع:** عندما كلمتنى عن انتقال المبادأة البرية لصالح إسرائيل على جبهة سيناء يوم ١٤ أعطيتنى تفسيراً فنياً ولكنك لم تعطنى تفسيراً فنياً لانتقال المبادأة الجوية بعد يوم ١٦ إلى يد إسرائيل؟

**المشير الجمسي:** التفسير هو الجسر الجوى الأميركى إلى العريش والذى بدأ بمذكرة من مسز مائير يوم ٩ إلى كيسنجر، طلباً لمعدات من ضمنها محركات طائرات وقطع غيار للطائرات وأجهزة لاسلكية للشوشرة والإعاقة.

*** فى الجانب الآخر**

**د. عمرو عبد السميع:** فى ميدان المعركة دائماً كل قائد يضع عينه بشكل ما على نظير له فى الجانب الآخر يحاول أن يستقرئ فكره ويواجهه.. على من كانت عيناك فى إسرائيل أثناء المعركة؟

**المشير الجمسي:** عيناى كانتا على إسرائيل إجمالاً.

الحرب ليست رئيس العمليات فى مواجهة رئيس العمليات ولا قائد الدفاع الجوى فى مواجهة قائد الدفاع الجوى ولكنها إجمالى الأجهزة التى تحدد شكل الأداء فى مواجهة إجمالى أجهزة العدو التى تحدد شكل أدائه.

دايان لم يكن (OPPOSIT NUMBER) لأحمد إسماعيل مثلاً، ولكن على نطاق أقل كثيراً من القيادة العامة أو هيئة العمليات يمكن أن يكون سؤالك

متحققاً فنقول: إن الجنرال شارون هو الرقم المعاكس للواء عبد رب النبى حافظ قائد الفرقة ١٦ مشاة ميكانيكى فى منطقة الثغرة، يعنى أمامنا قطاع جغرافى معين يشهد معركة بعينها فيها قائد يهاجم وقائد يدافع وهكذا.

**د. عمرو عبد السميع:** هل تركت حرب ١٩٧٣ بصمات واضحة على العلم العسكرى - حتى الآن - أم أن تأثيرها فى هذا المجال كان وقتياً، وهل اقتصر ذلك على بروز أهمية الصواريخ المضادة للطائرات من طراز سام والمضادة للدبابات أم شمل تأثيرات أخرى؟

**المشير الجمسي:** أضافت حرب ١٩٧٣ إضافات كثيرة فى مجال العلم العسكرى أهمها الدقة فى التخطيط لاقتحام مانع مائى مدبر فى مواجهة عنيدة من العدو، باستخدام وسائل العبور المختلفة من معديات إلى قوارب مطاطية إلى جسور، وأهم هذه الوسائل كانت الجسور الثمانية التى أقيمت فى زمن قياسى بلغ ثمانى ساعات وبما أثبت أيضا أن المعدات السوفييتية فى هذا المجال بالذات كانت جيدة، وكذلك فى مجال الصواريخ المضادة للدبابات (مولتيكا) التى أبلت بلاءً حسناً، وعلى الجانب الإسرائيلى ظهرت أهمية صواريخهم المضادة للدبابات، وكذلك أثبتت الدبابة M60 كفاءتها الكاملة فى مواجهة الدبابات ت٥٤، وت ٣٤ السوفييتية التى كان المصريون يستخدمونها.

**د. عمرو عبد السميع:** كيف سار مسلسل الأحداث - من وجهة نظرك - بعد محاولة تطوير الهجوم المصرى وفشلها؟

**المشير الجمسي:** على الرغم من فشل الهجوم المصرى يوم ١٤ إلا أنه ربما يكون خفف الضغط عن الجبهة السورية، بسحب الطيران الإسرائيلى إلى الجبهة المصرية.

وفى يوم ١٥ كان واضحاً أن المبادأة انتقلت إلى الجانب الإسرائيلى، وفى ليلة ١٦/١٥ أكتوبر تجمعت فرقتان إسرائيليتان مدرعتان، كل منهما تضم ٣٥٠ دبابة، إحداهما بقيادة الجنرال شارون، والأخرى بقيادة الجنرال أدن على الطريق

الأوسط فى مواجهة الفرقة ١٦ مشاة ميكانيكى المصرية بقيادة عبد رب النبى حافظ، وضغط الإسرائيليون على الجانب الأيمن للجيش الثانى الميدانى المصرى - ودائماً يكون الجنب أضعف - فى محاولة لزحزحة القوات المصرية إلى الشمال بما يترك فجوة أمام القوات الإسرائيلية تستطيع عبرها أن تصل إلى الضفة الشرقية لقناة السويس ومنها تعبر إلى الشاطئ الغربى، وقد حاول الإسرائيليون ذلك يوم ١٦ وفشلوا، ثم حاولوا ليلة ١٧/١٦ ونجحوا فى أن يصلوا إلى الضفة الشرقية للقناة بقوة كتيبة مظلات وكتيبة دبابات، ثم عبرت وحدة المظلات القناة، وجزء من الدبابات يتراوح عدده بين سبع وعشر دبابات، واختفوا بين الأشجار الموجودة فى الضفة الغربية، ثم بدأت معركة الدفرسوار التى يطلق عليها اسم الثغرة، والتى شهدت تعتيماً إعلامياً من الجانب المصرى وتضخيماً إعلامياً من جانب العدو، فأعطيت أكبر من حجمها فى نظر المصريين والعرب.

ترتب على هذه المعركة توسيع الثغرة إلى أن تدخل كيسنجر وأوقف القتال يوم ٢٢، وظن بعض الناس أن نتيجة الحرب هى قوات لمصر فى الشرق وقوات لإسرائيل فى الغرب، وهذا غير صحيح إطلاقا، بدليل أن الجانب الإسرائيلى كان يعارض وقف إطلاق النار يوم ٢٢ لأن قواتهم كانت قابعة فى شريحة صغيرة من الأرض فى وضع يعتبرونه غير مؤمن، وبالتالى فإنهم على الرغم من اضطرارهم لقبول وقف إطلاق النار، خرقوا هذا الوقف واستمروا فى القتال حتى يوم ٢٥ وحاولوا الاتجاه عبر منطقة الثغرة إلى مدينة الإسماعيلية فى الشمال على أمل دخول مدينة مصرية كبيرة تصبح ورقة فى أيديهم فى أية مفاوضات ولكنهم فشلوا فى هذا فاتجه الإسرائيليون جنوباً إلى السويس وفشلوا أيضاً وتكبدوا خسائر هائلة مما دفعهم إلى قبول القرار ٣٣٩ بوقف إطلاق النار يوم ٢٨.

وفى هذا السياق يهمنى الرد على الأكاذيب التى ذاعت وشاعت عن أننا أحدثنا فراغاً فى الجانب الغربى للقناة بتطويرنا للهجوم مما مكن إسرائيل من إحداث الثغرة وهذا كلام غير صحيح مطلقاً لأنه تم احتواء القوات الإسرائيلية غرب القناة بالفرقة الرابعة المدرعة والفرقة ٢٣ الميكانيكية ولواءات من المظلات

والصاعقة والمشاة، فإذا كانت هذه القوات كلها موجودة فى الغرب فكيف يقال إننا أحدثنا فراغاً، وكل الذى استطاع الإسرائيليون تحقيقه فى هذه العملية كلها هو قطع طريق مصر - السويس الصحراوى فحسب.

*** الاختلاف**

**د. عمرو عبد السميع:** يبدو أن مشهد الثغرة فى غرفة العمليات المصرية كان أكثر دراماتيكية مما ذاع عن اختلاف وجهات النظر بين القيادة السياسية وبعض القادة العسكريين.. ماذا كانت ملامح هذا الخلاف من وجهة نظرك؟

**المشير الجمسي:** كنا فى القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية نشعر أن المبادأة أصبحت فى يد إسرائيل، وكانت معلوماتنا تفصيلية عن الجسر الأميركى الجوى ومدى ضخامته، والذى كان يفرغ الإمدادات فى العريش لتظهر هذه الإمدادات مؤثرة وبسرعة على الجبهة المصرية.

وكنا نحلل وجود العدو على الضفة الغربية بإحساس خطير، وندرك أنه يريد الحصول على مدينة أو مدن كبيرة فى غرب القناة ليساومنا على وجود القوات المصرية فى الشرق ويضيع معالم ونتائج الحرب كلها وإنجازاتها.

وبالتالى كنا حريصين كل الحرص على احتواء القوات الإسرائيلية التى عبرت إلى الغرب من دون تأثير على وضع القوات المصرية الموجودة فى شرق القناة.

وهنا ظهرت فكرتان فى القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية:

الأولى: كانت فكرة الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان، ويرى سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب لتساعد القوات المصرية فى تدمير القوات الإسرائيلية الموجودة فى الغرب وكان قد ذهب ليلة ٢٠/٢١ لتفقد الجيش الثانى وعاد من هناك بهذا الرأى.

الثانية: كانت فكرة تبنتها أنا والمشير أحمد إسماعيل وتقول بأن لا مساس بالقوات المصرية الموجودة فى الشرق لأن أى انسحاب سيؤثر على قوة وتماسك

القوات المصرية فى الشرق، كما أن أشد المعارك صعوبة هى الانسحاب وخصوصاً تحت ضغط العدو.

واحتدم الاختلاف فطلب الفريق سعد الشاذلى أن يبلغ الأمر لرئيس الجمهورية نظراً لخطورة الموقف.

وبناء على طلب الشاذلى اتصل المشير أحمد إسماعيل بالسادات، وجاء الرئيس إلى مقر القيادة العامة واجتمع بأحمد إسماعيل فى مكتبه لمدة ساعة ثم دخل إلى غرفة العمليات فى حوالى الحادية عشرة مساء.

**د. عمرو عبد السميع:** فلنتوقف عند نقطة الاجتماع الذى طلبه الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان المصرى مع السادات ليفصل فى وجهتى نظر ظهرتا فى القيادة العامة المصرية فى شأن مواجهة الثغرة.. من كان حضور هذا الاجتماع؟

**المشير الجمسي:** قائد القوات الجوية، وقائد الدفاع الجوى، ومدير المخابرات الحربية ورئيس العمليات ورئيس الأركان، ثم دخل علينا الرئيس السادات ومعه أحمد إسماعيل ووزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية عبد الفتاح عبد الله.

واستمع السادات إلى مدير المخابرات الحربية الذى مثل العدو فى هذا المؤتمر، وقدم تقييماً لأعمال القتال التى يقوم بها العدو، وقال رأيه، ومثلت أنا القوات المصرية وقدمت رأياً كان ملخصه بالإحصاءات والأرقام أن لدينا من القوات فى الضفة الشرقية للقناة ما يجعل المحافظة على نتائج حرب أكتوبر أمراً متحققا، وأن قواتنا لديها من الأسلحة والمعدات ما يجعلها قادرة على صد أية هجمات إسرائيلية، كما أظهرت خطورة فكرة سحب أية قوات من الضفة الشرقية، وقلت إننا يجب أن نحتوى الثغرة فى الضفة الغربية بقواتنا الموجودة فى الضفة الغربية أيضاً.

أما الفريق سعد الدين الشاذلى فلم يبد رأيا، وفسر ذلك فيما بعد فى مذكراته حين كتب أن وزير الدولة عبد الفتاح عبد الله طلب منه الكلام فرفض قائلا: «فيم سأتكلم.. لقد استمع إلى كل الناس ولم يسمعنى؟!».

فى هذا الاجتماع قال السادات إنه لن يسحب أى جندى من الضفة الشرقية للضفة الغربية، وبت فى الخلاف الناشب داخل القيادة مقرراً احتواء الثغرة فى الغرب بالقوات المصرية الموجودة فى الغرب فقط.

انتهت الحرب على هذا النحو يوم ٢٨ أكتوبر بعدما أخذ السادات القرار السياسى بإيقاف إطلاق النيران بعد اتصالات مع كيسنجر كانت مستمرة من يوم ٧ إلى يوم ٢٨، وقال فى أسبابه لقبول وقف اطلاق النار إنه حارب بما فيه الكفاية - يعنى بنجاح - وأنه غير مستعد لمحاربة أميركا خصوصا بعد الجسر الجوى إلى العريش، والأسلحة المتقدمة التى أمدت أميركا إسرائيل بها والتى عددها السادات فى مذكراته التى نشرت تحت عنوان «البحث عن الذات».

بمعنى آخر، فقد رأى السادات من الناحية السياسية أنه يجب أن يوقف القتال عند هذا الحد ويلعب الدور السياسى استكمالا للدور العسكرى وهذا حقه كقائد عسكرى.

*** خرافات**

**د. عمرو عبد السميع:** هل كان دفع الفرقة الرابعة المدرعة إلى الشرق لتخفيف وطأة الهجوم الإسرائيلى على سورية عاملاً مساعداً للإسرائيليين فى تحقيق الثغرة؟

**المشير الجمسي:** هذه خرافات شاعت وذاعت دون مبرر، نحن لم نقحم الفرقة الرابعة المدرعة شرق القناة، ولم تتدخل هذه الفرقة فى الحرب شرق القناة، ولكن لواءً واحداً منها اشترك فى عملية تطوير الهجوم المصرى يوم ١٤، وبعد ما فشل هذا التطوير أُعيد اللواء وانضم إلى فرقته فى الضفة الغربية للقناة.

كيف يمكن أن تكون هذه الفرقة أقحمت فى الحرب بينما كانت هى التى تحاصر قوات إسرائيل غرب القناة بدءا من يوم ٢٢ أكتوبر حتى يوم ٢٨ بقيادة اللواء عبد العزيز قابيل؟

والغريب أن أحد المسئولين المصريين العسكريين السابقين وآخر من المدنيين كتب كل منهما فى مذكراته أن القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية أفرغت الضفة الغربية من الاحتياطيات.

وهذا لم يحدث مطلقا فبماذا كنا نقاتل فى الغرب إذا كنا أفرغناه من الاحتياطيات.

لقد كان لدينا فى الغرب: الفرقة الرابعة المدرعة كاحتياطى للجيش الثالث الميدانى، والفرقة ٢١ المدرعة كاحتياطى للجيش الثانى الميدانى، والفرقة ٢٣ ميكانيكى فى الجيش الثانى بالإضافة إلى لواء دبابات الحرس الجمهورى والذى منع تقدم الإسرائيليين على طريق مصر - الإسماعيلية قبل اتجاههم جنوباً نحو السويس.

إذن كانت لدينا قوات كبيرة وإلا كنا اضطررنا إلى سحب قوات من الضفة الشرقية بما يحدث انهياراً للأوضاع التى تحققت بالحرب منذ يوم ٦ أكتوبر.

**د. عمرو عبد السميع:** قال الرئيس السادات فى إحدى خطبه بعد الحرب إنه استخدم سلاح الردع فى محاولة لمنع هذه الثغرة فهل كان سلاح الردع هو صواريخ سكود؟

**المشير الجمسي:** لم تكن صواريخ سكود وعلى أية حال استعملنا سكود من أول الحرب إلى نهايتها.

**د. عمرو عبد السميع:** وهل كانت نتائجه مؤثرة؟

**المشير الجمسي:** كانت عادية.

**د. عمرو عبد السميع:** هل كانت محدودة مثلما رأينا فى حرب الخليج؟

**المشير الجمسي:** بالطبع كانت محدودة لأن مشكلة هذا الصاروخ أنه ليس دقيقاً وانتشاره كبير وبالتالى لا يمكن أن يكون مؤثرا والمدافع أفضل منه لأنها عندما تضرب الهدف تصيبه مباشرة مرة واثنين وثلاثة، إلا أن ميزة السكود - بالنسبة

لنا - كانت أن مداه طويل يتراوح ما بين ٧٩ - ٨٠ كيلو متراً وكنا نريده فى قصفة النيران المركزة الأولى فى الحرب - والتى استمرت ٥٣ دقيقة - ليصل إلى مطارات مليز ومقر القيادة العسكرية الإسرائيلية فى جبل أم خشيب فى عمق سيناء، ولم يكن ممكناً أن نصل إليها سوى بالطيران أو بالسكود وكانت لدى الطيران مهام وأهداف كثيرة وبالتالى استخدمنا السكود كما استخدمناه قبيل وقف إطلاق النيران.

*** حصار!**

**د. عمرو عبد السميع:** هل كان الرئيس السادات دقيقاً عندما قال إن القوات الإسرائيلية غرب القناة كانت محاصرة بواقع صاروخ لكل دبابة؟

**المشير الجمسي:** لا أتذكر الإحصائية تماماً ولكن الذى أؤكده أن القتال بيننا وبينهم لم يصل - أبداً - إلى حالة حصار بالمفهوم العسكرى الذى يعنى أن قوة أصبحت محاطة من جميع الجهات بالقوة المعادية ولا يسمح لهذه القوة بالخروج إلى أن تدمر أو تستسلم.

لو طبقنا هذا الكلام سنجد أن حالة حصار لم تتحقق لأحد الطرفين، ولكن ما حدث هو أن القوات المصرية قامت باحتواء قوات الثغرة الإسرائيلية التى كانت فى شريحة محددة من الأرض تحدها القناة من ناحية وقواتنا والجبال من الناحية الأخرى.

أما لو كانت حوصرت لكنا ذبحَناها، لوكان لواء إسرائيليا واحدا حوصر (٣٠٠٠ فرد تقريبا) لكانت فرصة العمر بالنسبة لنا.

مشكلة الإسرائيليين فى الثغرة أنهم كانوا فى شريحة ضيقة من الأرض لا تسمح لهم بالانسحاب من ثغرة عرضها ٧ كيلو مترات، كما أنها لا تسمح لهم بتحقيق شىء أكثر مما حققوه.

البنتاجون وكيسنجر كانا يفهمان هذا الوضع تماما بدليل أننى حين ذهبت إلى

مفاوضات الكيلو ١٠١ حاول الإسرائيليون أن يقولوا إن لهم قوات فى الغرب، كما أن لمصر قوات فى الشرق وغير ذلك من الكلام الذى لا أعتبره كلاماً عسكرياً، إلا أن اللغط الإسرائيلى لخص نفسه فى النهاية وبناء على نصائح كيسنجر فى مطلب واحد هو أن يسمح له بالانسحاب إلى الضفة الشرقية وترك الثغرة تماما.

ولو كان الاسرائيليون يشعرون أنهم قادرون على عمل شىء ما كانوا فكروا فى الانسحاب أبدا.

*** انهيار!**

**د. عمرو عبد السميع:** وصف الرئيس السادات مشهد اجتماعه بالقيادة العامة للقوات المسلحة لمناقشة موضوع الثغرة قائلا إن الشاذلى كان منهاراً فهل كان منهاراً بالفعل؟

**المشير الجمسي:** الشاذلى قام بزيارة ميدانية للجبهة وعاد برأيه العسكرى وقد اختلفت معه فى هذا الرأى ولكنه كان اعتقاده الفنى ولم يكن الشاذلى منهاراً، وأكررها للمرة الثانية - لم يكن الشاذلي منهاراً.

**د. عمرو عبد السميع:** فى تصورك لماذا عزل الرئيس السادات الفريق سعد الدين الشاذلى أركان حرب الجيش المصرى؟

**المشير الجمسي:** لا أعلم - بالضبط - الأسباب والمبررات التى نقل الفريق سعد الدين الشاذلى- بناء عليها - من وزارة الحربية إلى وزارة الخارجية ليعمل سفيراً بعد الحرب مباشرة.

وسألت المشير أحمد إسماعيل فى هذا الموضوع فكان رده هذا قرار سياسى وليس لنا أن نناقشه.. وسكت.

وقد أجريت هذا الحديث المنفرد مع المشير لأننى - فى الواقع - كنت أتساءل - فى حيرة - لماذا ينُقل، إن اختلاف وجهات النظر مطلوب وهو أمر عادى ولا

يمكن أن يكون المؤتمر الليلى فى مقر القيادة العامة سبباً معقولاً لهذا العزل.

أقسم بالله أننى لا أعرف سبب عزل الشاذلى وإلا ما كنت سألت أحمد إسماعيل.

**د. عمرو عبد السميع:** قبل أن نعود لسرد الأحداث مرة أخرى نتوقف قليلاً عند هذه النقطة لأسألك: ما هى خبرة تعاملك الشخصى مع الرئيس السادات أثناء العمليات ثم كوزير حربية فيما بعدها؟

**المشير الجمسى:** عندما كان يحضر المؤتمرات العسكرية وأنا رئيس هيئة العمليات ويستفسر عن شىء كنت واحداً من القادة الذين يردون عليه - كل بحسب اختصاصه - سواء فى التخطيط أو عملية العبور أو مجريات الحرب عموما.

وعندما أصبحت وزيراً للحربية كانت علاقتى به مثل علاقة أى وزير فى الدولة به ولكن منصب وزير الحربية له وضع خاص إذ أن رئيس الدولة هو القائد العام للقوات المسلحة، وبالتالى فأغلب الموضوعات المتعلقة بوزارتى تُرفع له ليبت فيها شخصياً بدلا من الرفع إلى رئيس الوزراء.

كنت - أحيانا - أطلب منه أن يتحدث إلى بعض الزعامات العربية لشراء سلاح نستعوض به ما فقدناه فيرسل مبعوثيه للأمر وهكذا.

ولا يعنى هذا أن بينى وبينه عمل ما، بحيث يقول رأيا فى التدريب أو التخطيط - مثلا - هذه المسائل ليس له فيها على الاطلاق،

**د. عمرو عبد السميع:** علاقتك بالسادات فيها أمر لا أفهمه؟

**المشير الجمسي:** لن تفهمه!!

**د. عمرو عبد السميع:** تخرج من منصبك كوزير دفاع ثم يرقيك إلى رتبة المشير بعد حضورك احتفالات العريش بالجلاء ثم تصبح خارج الحكم تماماً.. كيف؟

**المشير الجمسى**: لا أعرف.. بُلغت بموعد رفع العلم - رسمياً - فى سيناء وحضرت الاحتفال وانتهت المراسم ولم أكن وزير حربية - فى ذلك الوقت - ولكن كان وزير الحربية كمال حسن على، ورجعت مع كل الوزراء بعد الاحتفال واتصل بى ليلاً المرحوم على حمدى الجمال رئيس تحرير الأهرام الأسبق وأبلغنى بخبر ترقيتى إلى رتبة المشير، وأن هذا الخبر سيذاع فى نشرة أخبار الساعة التاسعة من مساء نفس اليوم وتلى ذلك مباشرة - أن اتصلت بى رئاسة الجمهورية وأبلغتنى بنفس الموضوع وبعد ذلك بدقائق اتصلت بى رئاسة الجمهورية مرة أخرى لتبلغنى أن الرئيس السادات سيذهب إلى بورسعيد فى اليوم التالى ليركب اليخت «الحرية» من بورسعيد إلى الإسماعيلية وقد طلب أن أحضر لأركب معه اليخت من بورسعيد برتبتى الجديدة.

وبحثت عن الرتبة الجديدة ليلاً فلم أجد، ولجأت إلى الكرتير العسكرى السابق لى ففتح أحد المحلات فى منتصف الليل، وعلقت الرتبة للمرة الأولى والأخيرة فى هذا اليوم وحضرت بها مرور الرئيس السادات من بورسعيد إلى الإسماعيلية وعدت من الإسماعيلية إلى القاهرة مباشرة ولم أتناقش معه فى أى موضوع.

وعلى ظهر اليخت أخذ السادات يستعيد الذكريات عن حرب أكتوبر وهو ينظر إلى بقايا خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة.

### * ما بعد الحرب!

**د. عمرو عبد السميع**: فى مثل هذه المواقف الاحتفالية بعد الحرب لاحظ الكثيرون أن الرئيس السادات بدأ يتكلم عن حرب أكتوبر وكأنه كان جزءاً من القيادة العسكرية للحرب فهل لاحظت نفس الأمر؟

**المشير الجمسي**: بعد الحرب كنت أشعر أننا حينما نتكلم فى بعض الموضوعات كان يسهم فى الحديث لأنه ألم بالخطة العسكرية أثناء الاستعداد

للحرب وكلمة (الإلمام) تعنى إلمام قائد سياسى بعمل عسكرى، من دون الدخول فى أية تفاصيل فنية أو عسكرية يطلب فيها مثلاً - التعديل أو الإضافة.

على أية حال كان مختلفاً إلى حد ما عن لهجته فيما قبل الحرب، ففى المجلس الأعلى للقوات المسلحة الذى انعقد قبيل الحرب مباشرة يوم أول أكتوبر قال: «أنا اتحمل المسئولية من ورائكم، وعليكم أن تقوموا بعملكم بشكل عادى ولا تتأثروا بوجهة نظرى» وهكذا لم يتدخل السادات فى أى عمل عسكرى وإنما أصبح ملماً بالموضوع وبالتالى استخدم إلمامه هذا ليشعر أى متمع بأنه على علاقة بالأمر.

**د. عمرو عبد السميع:** كنت وزيراً للدفاع وقائدا عاماً للقوات المسلحة المصرية فى مرحلة الإعداد لمعاهدة السلام مع إسرائيل، ماذا كانت حقيقة مشاعرك وهل هناك أى صحة لما قيل إنك شعرت بحزن شديد لانتهاء حالة الحرب؟

**المشير الجمسي:** لقد اشتركت فى المفاوضات مع الجانب الإسرائيلى فى المحادثات العسكرية فى الكيلو ١٠١، والتى انتهت بفك الاشتباك بين القوات المصرية والإسرائيلية والتى بناء عليها صيغت اتفاقية النقاط الست التى وضعها كيسنجر، ووافقت عليها مصر فى ٧ نوفمبر ١٩٧٤، وقد نفذت هذه الاتفاقية لأننى كنت رئيسا للعمليات ورئيساً للوفد المفاوض العسكرى فى ذلك الوقت ثم أصبحت رئيساً للأركان وبالتالى كان من واجبى أن أنفذ هذه الاتفاقية.

ثم اشتركت فى مفاوضات أخرى أعقبت رحلة السلام إلى القدس، التى قام بها الرئيس السادات حين جاءنا مناحيم بيجن إلى القاهرة، وتشكل الوفد المصرى برئاسة السادات ليضم حسنى مبارك نائب الرئيس، وممدوح سالم رئيس الوزراء، وأنا وزير للحربية، وبطرس غالى وعصمت عبدالمجيد، وكانت هذه المفاوضات عملاً سياسيا بحتا واشتراكى فيها كان بهذا المعنى، وقد عقدنا اجتماعاً واحداً فى ٢٥ ديسمبر ١٩٧٧ ثم تشكلت بعد ذلك لجنتان إحداهما سياسية تضم وزراء الخارجية ومقر اجتماعها القدس، والثانية عسكرية تضمنى أنا

ووزير الدفاع الإسرائيلى عيزرا فايتسمان ومقر اجتماعها القاهرة وكانت كل نتائج مباحثاتى أرفعها للرئيس السادات أولاً بأول.

وكان كل التركيز فى مباحثاتى مع الجانب الإسرائيلى على أن تعود سيناء محررة كاملة للسيادة المصرية من دون وجود أية مستعمرة فيها أو أى قيد على الجانب المصرى، وكان الرئيس السادات - حسبما يُظهر لى - يؤيد هذا تماما وكل المناقشات التى دارت بيننا تؤكد على هذه المعانى.

ولم أشترك فى كامب ديفيد أو أسهم فيها - ولكن بعد أن عاد السادات من هناك بأسبوعين استدعانى ليخبرنى بانتهاء مهمتى فى الوزارة قائلا: «أنا ح أغير الدولة»!

**د. عمرو عبد السميع:** ما تعنى عبارة تغيير الدولة؟

**المشير الجمسي:** طلبنى فى استراحة القناطر الخيرية يوم ٣ أكتوبر وقال لى إن مصر ستبدأ مرحلة تاريخية جديدة، وأنه قرر إجراء تعديلات أساسية فى الدولة، وأنه سيغير وزارة ممدوح سالم ليتولى د. مصطفى خليل رئاسة مجلس الوزراء، وستحلف الوزارة الجديدة اليمين يوم ٥ أكتوبر وأن كمال حسن على سيصبح وزيراً للحربية وأن سيد مرعى سيخرج من منصب رئيس مجلس الشعب (البرلمان المصرى).

وهنا أجبت الرئيس وعظمت (أى التحية العسكرية) فالقرار قراره وله حق تعيين الوزراء وتغييرهم.

كان هناك عرض عسكرى مقررا له أن يتم يوم الجمعة ٦ أكتوبر وكنت أقوم بترتيباته، وجهزت مراسمه ولكن عندما حلف كمال حسن على اليمين أمامى فى التلفزيون يوم ٥ أكتوبر غادرت مبنى الوزارة على الفور، وفهمت أن كمال حسن على هو الذى سيحضر العرض العسكرى.

## * «١٨ و١٩يناير»

**د.عمرو عبد السميع:** سنعود مرة أخرى لاستجلاء جوانب أخرى عن دورك فى المباحثات السياسية ولكن هناك نقطة نود أن نتوقف عندها أولاً وهى المهمة السياسية التى أوكلت للقوات المسلحة بمواجهة اضطرابات الشوارع التى عرفت بأحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ فما هى ملابسات تكليفك بهذه المهمة؟

**المشير الجمسي:** اسأل ممدوح سالم رحمة الله عليه!!

**د.عمرو عبد السميع:** سيادتك كنت نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية المكلف بالمهمة؟

**المشير الجمسي:** تدخلت القوات المسلحة بعد أن انهارت السلطة فى الدولة وتدخلت هذه القوات بناء على طلب من رئيس الدولة أنور السادات ورئيس الوزراء ممدوح سالم لإعادة الانضباط إلى الشارع.

هاتفنى السادات من أسوان وقال لى: «تدخل لحماية القاهرة».

ونفذت مدركاً أن القانون يحتم على القوات المسلحة - طالما أصبحت طرفا فى أمر كهذا - أن تصبح لها اليد العليا فى كل شىء وقد نسقت فى هذا مع ممدوح سالم.

استمرت العملية يومين ولكن إقحام القوات المسلحة فى مثل هذا العمل لم يكن أمراً مريحاً بالنسبة لى كوزير حربية على المستوى المعنوى.

**د. عمرو عبد السميع:** لماذا لم يكن مريحا؟

**المشير الجمسي:** طبقا للقانون الموضوع من قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ فإن القوات المسلحة تنزل إلى الشارع فى حالة الكوارث أو الفيضانات أو المواقف الخطيرة التى تنهار فيها السلطة المدنية للدولة.

ولكننى استشعرت أن نزول الجيش يعرضه للخطر، أو يعرض المدنيين للخطر أثناء محاولته إلزامهم بالخضوع بالقوة للقانون، ولهذا كنت حريصاً كل

الحرص على ألا يحدث صدام بين الجيش والشعب، وبخاصة أننا كنا خارجين من حرب أكتوبر والتلاحم سائد ما بين الشعب والجيش، والمفهوم أن العمل العسكرى موجه - أساساً ضد العدو.

ولهذا كله كنت أشعر بعدم الارتياح لإقحام القوات المسلحة فى هذا الموضوع، ولكن لم يكن لى خيار فى ذلك لأنه أمر واجب التنفيذ لإعادة سلطة الدولة لصالح أمن الدولة.

**د. عمرو عبد السميع:** وهل كان لدى القيادة السياسية خيار آخر؟

**المشير الجمسي:** لا أعرف ولكن يبدو أن سلطة البوليس كانت انتهت، ورفع رئيس الوزراء الأمر لرئيس الدولة طالباً دخول الجيش بما يعنى أن السلطة المدنية انهارت وسقطت بالفعل.

*** أداة**

**د. عمرو عبد السميع:** نعود إلى المهمة السياسية الكبيرة وهى مباحثات السلام، وفى هذا السياق كانت هناك رؤية لأحد كبار الكتاب المصريين تقول: «إن حرب اكتوبر حرب أهدرت فيها السياسة المكاسب العسكرية» فهل هذا صحيح؟

**المشير الجمسي:** السياسة لها أهلها!!

ولن أرد على السؤال سوى بأن السياسة تشمل الوزارة ومجلس الشعب ومجلس الأمن القومى ورئيس الدولة.

ولقد مضى السادات عبر كل هذه المؤسسات فى عمليته.

**د. عمرو عبد السميع:** تقصد من الناحية الإجرائية؟

**المشير الجمسي:** نعم وبموافقة الجميع فليس لى هنا أن أقيم من أهدر مكاسب من؟

لقد وافق مجلس الشعب بالإجماع على كامب ديفيد وخرجت الناس سعيدة فى الشارع ورفعت الزينات والأنوار فى كل مكان.. فماذا تريد؟

الجهاز العسكرى أداة "TOOL" فى يد الجهاز السياسى وقوة الدولة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ومعنوياً هى كل متكامل يمثل ما يسمى (سياسة الدولة).

ومهارة القيادة السياسية هى أن تستغل قدرات الدولة فى كل المجالات لتحصل على أفضل نتيجة للحرب سياسياً فهل فعلت القيادة هذا؟

ومن الذى يقول إذا كانت السياسة أهدرت الإنجاز العسكرى، أو أن العسكرية أهدرت إنجاز السياسة؟

المؤرخون فقط هم الذين من حقهم أن يقولوا هذا.

**د. عمرو عبد السميع:** وصلاً لحديثنا عن مقولة هل أهدرت السياسة مكاسب العسكرية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، بوصفك خبيراً استراتيجياً.. هل كانت القوات المسلحة المصرية بعد الحرب فى وضع يؤهلها للحصول على نتيجة سياسية أفضل مما حصل عليه السادات؟

**المشير الجمسي:** القوات المسلحة ليس لها أن تتدخل فى بحث مثل هذه المواضيع، الجيش يحترف العسكرية والحرب، وبداية الحرب قرار سياسى، ونهاية الحرب قرار سياسى.

**د. عمرو عبد السميع:** إذا لم يكن من الطبيعى أن تتدخل فى قرارات سياسية من هذا اللون، فهل لى أن أسألك هل أجهشت فعلاً بالبكاء فى موقف مفاوضات مع كيسنجر؟ ولماذا كان ذلك من قائد عسكرى يحترف الحرب وليس له علاقة بالسياسة؟

**المشير الجمسي:** كل ما كتبه الصحفى الكبير محمد حسنين هيكل عن أن عيناى أغرورقتا بالدموع فى أسوان أثناء مفاوضات فض الاشتباك الأول صحيح.

كان رئيس الوفد المصرى إسماعيل فهمى وزير الخارجية وكنت أنا حاضراً بوصفى رئيس أركان القوات المسلحة، وأمامنا هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأميركى، ووجدت فى أثناء المفاوضات أن كيسنجر أعطى مواضيع الأمن

الإسرائيلى اهتمامه الرئيسى، وحرم مصر من نقاط كثيرة تحقق لها أمنها، فقد حدد عدد القوات المصرية فى الضفة الشرقية للقناة، وحدد أنواع الأسلحة، ولأننى أمثل العسكرية المصرية فى هذا الاجتماع فقد أبديت استيائى الشديد وقلت له: «أنا لا أوافق إطلاقا على القيود التى تضعها بالنسبة للقوات المسلحة المصرية».

وفوجئت بكيسنجر يقول لى: (MY DEAR GENERAL).. «يا عزيزى الجنرال لقد اتفقت مع السادات على كل شىء.. أنا أتكلم فى السياسة وننظر إلى الأمام. من أجل السلام» وكرر الكلمة الأخيرة مرتين"PEACE".

ورددت على كيسنجر: «إذا كنت تريد الحديث عن السلام أمامك إسماعيل فهمى، أما أنا فلست رجل سلام».

وتركت المائدة ونهضت، وأغرورقت عيناى بالدموع، فكيف يمكن أن أدافع عن هذا الموقف العسكرى الجديد الذى نوضع فيه، والذى قد يعرضنا للخطر، وكان فى ذهنى وأنا جالس أمام كيسنجر مكاسب حرب أكتوبر التى لا يجب أن تمس، وكان فى ذهنى - أيضاً - أن إسرائيل لن تفوت فرصة للرد على حرب ١٩٧٣، وقد يتيح لها الوضع العسكرى الجديد الذى يقره كيسنجر هذه الفرصة.

دخلت إلى الحمام، وهناك أخرجت منديلاً من جيبى ومسحت به دموعى، ثم عدت إلى مائدة المفاوضات وجلست صامتاً.

وخرجت من الجلسة لأذهب إلى السادات ورويت له ما حدث، فإذا به يقول: «أنا أتكلم فى موضوع سياسى، والموضوع السياسى ننظر فيه إلى الأمام وإلى تحقيق استراتيجيات السلام».

أى أن السادات أمن على كلام كيسنجر الذى قاله لى.

**د. عمرو عبد السميع:** يا سيادة المشير ذكرت لى فى موقع سابق من هذا الحوار أن الرئيس السادات كان يسير - إجرائياً - فى خطوات السلام بشكل مضبوط

فيحصل على موافقات من مجلس الأمن القومى، ثم من مجلس الشعب وهكذا. فهل حصل على مثل هذه الموافقات فى أمر تخفيض القوات وتحديد نوعية أسلحتها؟

**المشير الجمسي:** لم يحصل.

**د. عمرو عبد السميع:** كيف لم يحصل؟

**المشير الجمسي:** مثل الناس!!!!

لأنه القائد الأعلى للقوات المسلحة وهو رئيس الدولة فى مصر، وكل دولة نامية تسير بهذه الطريقة، ولا تجعلنى أثور عليك!!

أنا لا أتكلم عن تاريخ السادات، ولكننى أتحدث عن حديث الحرب ونتائجها العسكرية والسياسية.

لقد قلت للسادات - بينى وبينه - إن ما يتم إقراره من كيسنجر خطأ، وطلبت أن يحضر المشير أحمد إسماعيل إلى أسوان بوصفه القائد العام للقوات المسلحة ليدلى برأيه فى الموضوع فأجابنى السادات «لن يحضر أحمد إسماعيل وهذا قرارى»!!

واعتبرت أننى أديت واجبى وقلت رأيى وانتهى الموضوع.

**د. عمرو عبد السميع:** فى مرحلة الدفع إلى عملية السلام حدث أن بعض المسئولين السياسيين وبالذات فى وزارة الخارجية استقالوا حين لم يروا أن الأمور تسير فى الطريق الذى يرونه صحيحاً مثل إسماعيل فهمى ومحمد إبراهيم كامل، فلماذا لم تستقل أنت؟

**المشير الجمسي:** كرجل عسكرى، لم يحدث شىء يجعلنى أستقيل.

**د. عمرو عبد السميع:** حدث - كما تقول - ما جعل عيناك تغرورقان بالدموع؟

**المشير الجمسي:** ما حدث كان شبيها بموقف أضغط عليك فيه بالمناقشة فتحمر عيناك، فالمؤتمر كله كان برئاسة السادات وكيسنجر، وتفرع عنه اجتماع برئاسة

كيـــنجر وإسماعيل فهمى، وكنت أحضر بصفتى رئيساً لأركان الحرب، وقد أبديت رأيى أمام طرفى المفاوضات على المائدة، وعبرت عن هذا الرأى أمام رئيس الدولة، وقلت نفس الرأى للمشير أحمد إسماعيل.

ماذا أفعل؟ هل أستقيل لأنه تحدد لنا ٨٠ دبابة، وكنت أرى أن يكونوا ٢٠٠؟

هذا قرار سياسى، وحين يصدر يجب أن يسرى.

لقد قلت لأحمد إسماعيل: «كلم الرئيس فى الموضوع» فقال: «وفى ماذا أكلمه بعد ما جرى»، فألححت عليه أن يجهز طائرة ويأتى إلى أسوان، فرفض السادات كما قدمت.

ماذا أفعل أكثر من هذا؟

*** لقاء!**

**د. عمرو عبد السميع:** هل يمكن أن تصف لنا أول لقاء لك مع وزير الدفاع الإسرائيلى عيزرا فايتسمان، وبخاصة وأنه كتب ذات مرة يقول: «لقد حاولت فى هذا اللقاء أن أكتشف مدى صدق الجمسى وجديته فى السلام مع إسرائيل» وهل تعتقد أن صياغة فايتسمان للعبارة على هذا النحو توحى بأنه كانت لديهم شكوك قوية فى عدم رغبتك فى السلام معهم؟

**المشير الجمسي:** ربما يكون ما كتبه فايتسمان نابعاً من معلوماتهم عنى أو مفهومهم لتصرفاتى، أو تقارير عندهم من أى جهة.

لقد قال لى فى اللقاء الأول، وكتب تلك الواقعة أيضاً فى مذكراته: «لقد درسناك جيداً، واستعرضنا شخصيتك وحياتك، ومن المدهش أننا لم نجد لك صورة فوتوغرافية أو فيلماً تليفزيونياً تبتسم فيه، واستعنا بالجانب الأميركى لنحصل على باقى المعلومات عنك».

أما عن مدى إيمانى بالمفاوضات وبالسلام، فالحقيقة أننى مضيت فى

المفاوضات إيمانا منى بأنها طريق من ضمن الطرق التى يمكن أن نصل بها إلى السلام فى المنطقة، وبحيث يدخل الرجل السياسى إلى المفاوضات ومعه معطيات تفاوضية عسكرية وسياسية فى آن واحد، وهذا أسلوب المفاوضات فى العالم كله.

ومع ذلك لم نصل إلى شىء، بل وصلنا مع فايتسمان إلى طريق مسدود فى المفاوضات العسكرية وأوقفت المفاوضات وانقطعت العلاقات التفاوضية، إلى أن تدخلت أميركا ودعت إلى كامب ديفيد، وهى ما حسم الموضوع تماماً لأنها بحضور رئيسى الدولتين المتصارعتين، وكان السادات مفوضاً للمحادثات باسم الدولة المصرية كلها، وكذلك بيجن ، وإن كنت تلاحظ أن بيجن حرص على أن يمثل الجانب العسكرى فى وفد المفاوضات الإسرائيلى بحضور فايتسمان بينما حرص السادات على استبعاد وزير حربيته.

**د. عمرو عبد السميع:** أكان هذا بسبب موقفك فى أسوان؟

**المشير الجمسي:** لا أعرف.. لقد اتفق الطرفان، وانتهى الموضوع وضرب الجميع تعظيم سلام!!

*** دقة والتزام**

**د. عمرو عبد السميع:** شاركت فى اجتماعات على المستوى العسكرى بين مصر وإسرائيل وتعاملت بالطبع مع قيادات عسكرية إسرائيلية. ما هو تقييمك لهم... وإلى أى مدى كان هناك تطابق أو اختلاف بين نظرتك المسبقة لهم وما وجدته فعلاً عبر هذا التعامل؟

**المشير الجمسي:** من خبرة المعايشة للإسرائيليين أثناء المفاوضات شعرت أنهم يدرسون موضوع التفاوض بإمعان، ودقة، ويلتزمون بما تقرره قيادتهم السياسية ولا يحيدون عنه، بصرف النظر عن انتماءاتهم الحزبية.

وقد كان هذا واضحاً فى التفاوض مع حاييم بارليف فى مفاوضات الكيلو ١٠١، ومع عيزرا فايتسمان فى المفاوضات التالية لذلك. أنهم دقيقون للغاية

وواضحون للغاية، وملتزمون بقرار قيادتهم، وباحثون عن المبررات والأسباب التى تدعم هذا القرار.

ومن خبرة التفاوض معهم أيضاً أعتقد أنهم على دراية تامة بالجانب العربى كاملاً وبمنتهى التفصيل!!

وربما تعود هذه النقطة إلى نجاح وكفاءة المخابرات الإسرائيلية التى اشتهرت بأنها تعرف دبيب النملة فى الوطن العربى.

وعلى أية حال فإن ذلك يعنى أن تقديراتهم تكون سليمة على ضوء المعلومات الدقيقة المتوافرة لديهم، وكذا أهدافهم الواضحة.

**د. عمرو عبد السميع:** هل كان الكلام الذى تقوله الآن متطابقاً مع رؤيتك لبارليف ووايزمان قبل أن تلتقيهما وجهاً لوجه؟

**المشير الجمسي:** ليس كأشخاص، ولكن كمؤسسة عسكرية، كانت هذه هى نظرتى للمؤسسة التى تمثل جهازاً قوياً من قبل ١٩٤٨، ثم كان لها دور كبير فى إنشاء الدولة، وإن كان بن جوريون لم يعلن عن وجودها كمؤسسة إلا بعد ١٩٤٨.

لقد قرأت عنهم كثيراً، ومارست علاقة قتال معهم كثيراً، ودرست العقلية الإسرائيلية تماماً.

*** حرب**

**د. عمرو عبد السميع:** دعوت منذ وقت مبكر عندما استردت مصر سيناء إلى إعادة تخطيط منطقة الحدود لتكون صالحة للدفاع، وربما تأثرت فى ذلك بفكرة المستوطنات الزراعية العسكرية التى تقيمها إسرائيل.. هل يعنى ذلك اعتقادك فى إمكان نشوب حرب جديدة بين مصر وإسرائيل فى المستقبل؟

**المشير الجمسي:** أعتقد أن الأمن القومى لمصر يجب أن يحظى بالاهتمام الأول، وقد علمنا التاريخ منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن أن الحرب حدث متكرر مع

إسرائيل بلغ ٤ مرات (من دون حساب حرب الاستنزاف)، وطبقا لاستراتيجية إسرائيل المعلنة أو غير المعلنة، فهى لابد أن تتوسع على حساب الدول العربية. وقد يكون توسعها فى اتجاه مصر، ومجال توسعها فى اتجاه مصر هو سيناء، وقد لا يكون كل هذا قريباً، ولكنه قد يحدث فى المستقبل البعيد.

إذن يجب أن نحكم الدفاع عن سيناء، فسيناء بوضعها الحالى، ومنذ زمن طويل، تمثل فراغاً استراتيجيا للأمن القومى المصرى، ولقد أهملنا سد هذا الفراغ فى تاريخنا الطويل الماضى، وأذكر أننى خدمت فى سيناء فى سلاح الحدود قبل عام ١٩٤٨، وكان محافظ سيناء إنجليزيا ينفذ سياسة حكومته فى العزل الكامل بين وادى النيل وسيناء.

وعندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ وأصبحت سيناء مفتوحة للمصريين. لم نقدم لسيناء ما كان يجب أن نقدمه من مشروعات تضمن إقامة مستعمرات وجذب المصريين ليقيموا فى سيناء ويدافعوا عنها.

أعتقد جازماً -حتى الآن - أن سيناء فى خطر إن لم نوطن ٢ مليون مصرى فيها.

إسرائيل - الآن - تعدادها ٣ مليون، وهم يقدرون أنهم سيكونون ستة ملايين عام ألفين، وهكذا لن تسعهم الأرض، وسيصبح محتماً عليهم أن يتوسعوا فى الضفة الغربية وسيناء والجولان.

ومن هنا فإن الحل الوحيد هو توطين ٢ مليون مصرى فى سيناء وهذا يوازى إنتاج مصر من البشر لعامين اثنين فقط بحيث نؤمن أسلوباً غير نمطى للدفاع عن سيناء.

**د. عمرو عبد السميع:** بأى معنى الأسلوب غير النمطى؟

**المشير الجمسي:** بمعنى ألا يتم الدفاع عن سيناء بالقوات المسلحة ولكن بالمدنيين الذين يذهبون إلى هناك لزراعة الأرض والدفاع عنها، المصرى يجب أن يقاتل فى سبيل بقائه وفى سبيل بيته.

وليس شرطاً أن تكون المستعمرات المصرية بنفس نظام المستعمرات الإسرائيلية، لأن الأخيرة تدخل فى فلسفتها الاجتماعية بعض المبادئ الاشتراكية، والعناصر المستمدة من المجتمعات الشيوعية السابقة.

إذا كان بيننا وبين إسرائيل سلام حالياً فهذا لا يمنعنا من التفكير فى أن حرباً أخرى ربما تنشب فى سيناء، ويجب أن نكون مستعدين لها لأن هذا جزء من الأمن القومى المصرى.

**د. عمرو عبد السميع:** بناء على خبرتك فى المفاوضات مع الإسرائيليين فى أواخر السبعينيات، ما هى توقعاتك لنتائج مفاوضات السلام الحالية التى تدخلها إسرائيل مع كل من سورية ولبنان والأردن والفلسطينيين؟

**المشير الجمسي:** أعتقد أن المفاوضات الحالية ستنجح بجهد أميركى من جهة وضغط أميركى فى جهة أخرى، وأتصور أن المفاوضات ستستمر فى ٩٢/١٩٩٣، ثم يتحقق السلام كاملاً فى ٩٤/١٩٩٥، بعدما تكون الدول العربية كلها أصبحت مؤهلة لهذا الوضع، وبعدما يكون النظام العالمى الجديد قد تبلور، وسيفرض السلام على هذه المنطقة رضيت أم لم ترض هذا إن لم تجد مستجدات على الساحة الإسرائيلية الداخلية تمنع ذلك.

**د. عمرو عبد السميع:** ألا تتناقض مقولة رضيت المنطقة أم لم ترض مع توقعك بأن تنشب حرب أخرى بين العرب وإسرائيل؟

**المشير الجمسي:** لقد قلت إننى لا أستبعد الحرب، ولكننى لم أجزم بقيامها، ومع ذلك فالمقولتين غير متعارضتين لأننى قلت إن الأوضاع الدولية الحالية ستفرض سلاماً على المنطقة، ولكن العامل الذى لا يحسبه أحد أن شخصية ما قد تظهر فى هذه المنطقة مستقبلاً فى أى من دولها على جانبى الصراع لتغير من هذا الوضع الذى فرضته الأوضاع الدولية.

**د. عمرو عبد السميع:** هل تعتقد أن حرب الخليج الأخيرة وضعت نهاية لتأثيرات الحروب السابقة فى المنطقة وبخاصة حرب ١٩٧٣ على العلم العسكرى، بمعنى أنها دشنت نوعية جديدة فى الحرب الحديثة أم أن هناك مبالغة فى هذا القول؟

**المشير الجمسي:** العلم العسكرى يتطور من مرحلة إلى أخرى، وكلمة «يتطور» تعنى التسليح وتأثير النيران، فمثلا السلاح الرئيسى فى الحرب العالمية الأولى كان الرشاشات وبعض الاسلحة الاخرى كالدبابات البطيئة، وفى الحرب العالمية الثانية اختلفت وتعددت الأسلحة بشكل كبير، بينما كانت حرب ١٩٧٣ هى حرب صواريخ أساساً سواء فى البر أو البحر أو الجو وهو أمر لم يحدث من قبل، ومع ذلك فإنه لا يعنى أن أسس ومبادئ الحرب تغيرت فى ١٩٧٣ عن ذى قبل، ولكن الكفاءة فى طريقة استخدام الأسلحة وقوتها الجديدة ونيرانها هى التى اختلفت.

وكمثال معروف فإن المفاجأة والتعاون بين القوات، وحشدها هى عناصر مسجلة فى كل مراجع الحرب، وكل الناس يدرسونها، ولكن الفضل دائماً يسبغ على من يستطيع تنفيذ هذه العناصر بل وامتلاك المبادأة فى تنفيذها.

وهكذا فقد برزنا فى المفاجأة وحشد القوات فى عام ١٩٧٣ بما لا يمكن إنكاره.

أما فى حرب الخليج فإن السمعة الكبيرة للحرب تكمن فى أن أنواعاً من الأسلحة استخدمت من قبل، مثل طائرة الشبح فى القوات الجوية، أو مثل بطاريات الصواريخ «باتريوت» بالنسبة للدفاع الجوى، أو الصاروخ «كروز» بالنسبة للقوات البحرية.

كان هؤلاء هم نجوم الحرب، يضاف إلى ذلك أن الذى يستخدم هذه الأسلحة هو تحالف دولى على رأسه الولايات المتحدة الأميركية المعروفة بتقدمها الهائل فى التسليح، وأنا أكرر أن الأمريكان متقدمون فى التسليح وليس فى فن الحرب!

أمريكا ساهمت من الناحية العملية فى حرب الخليج بأسلحتها وليس بقواتها.

ودول أخرى أسهمت بقواتها بينما كان إسهامها بالسلاح أقل، وتشهد على ذلك حركة الالتفاف الكبرى التى قام بها الجنرال شوارتسكوف بالقوات البرية التى كانت أساساً «فئران الصحراء» الانجليز، والقوات الفرنسية، وفرقة أمريكية - فقط - من الجيش السابع.

ونعود إلى إضافات حرب الخليج، سنجد أن أهمها استخدام الحوامات (الهليوكبتر) كقانصة دبابات على نطاق أوسع، إذ استخدمت حوالى ٢٠٠ هليوكبتر، ولم يكن هذا جديداً فقد استخدمه الإسرائيليون والمصريون فى حرب ١٩٧٣ ولكن على نطاق أضيق.

باختصار، فإن القائد الناجح هو الذى يعرف كيف يستخدم الأسلحة المتاحة، فى الظرف الذى يواجهه، وهذا أمر لا يتغير من حرب إلى أخرى.

## * توقعات

**د. عمرو عبد السميع:** لوحظ أنك كنت من الخبراء العسكريين الذين اتسمت تحليلاتهم بالدقة والواقعية خلال أزمة الخليج، بينما اندفع آخرون فى تحليلات ثبت انحرافها عن الواقع بقدر كبير، هل ترجع سبب هذه التحليلات الخاطئة لتغليبهم العاطفة، أم لابتعادهم عن المجال العسكرى فترة طويلة؟

**المشير الجمسي:** أعتقد أن التقديرات - عموماً - من العسكريين وبالذات تلك التى أعلنت فى ندوات أو فى الإعلام، لم تكن بالدقة المطلوبة أو الواجبة، لأن الغالب عليها كان الفكرة السياسية وليس العسكرية، لدرجة أن أحدهم قدر أن الحرب ستستمر من ستة شهور إلى سنة.

لقد وقع صدام حسين فى مجموعة هائلة من الأخطاء السياسية والعسكرية، بما يمكن أى مبتدئ يطالع الصحف ووكالات الأنباء ويقارن حجم الحشود أن يؤكد استحالة نجاح العراق فى هذه الحرب.

أى مبتدئ يرى قوة برية متفوقة للحلفاء وقوة بحرية مكتسحة، وقوة جوية لا تقارن، وقوة صاروخية كذلك مضافا إليها استطلاع مؤهل ومتقدم، لا بد أن يأتى تحليله بأن كل عناصر القوة هذه عندما تكون فى يد قائد، فإنه ولا شك قائد سعيد الحظ يستطيع أن يكسب أى حرب.

**د. عمرو عبد السميع:** هؤلاء القادة المصريون الذين قدموا مثل هذه التحليلات

لهم قدر من العلم العسكرى يكفل لهم العصمة من الزلل فى الميل العاطفى، لأن بعضهم - على الأقل - كان مسئولا عن القوات المصرية فى فترة من الفترات، فكيف تغلبت عاطفتهم على علمهم العسكرى؟

**المشير الجمسي:** لا أعتقد أن العاطفة هى العامل الرئيسى، ولكنه التأثير السياسى لموقف اتخذه من يدلى بمثل هذه التحليلات.

كان تركيز هؤلاء فى الندوات والتصريحات على أن العراق بلد عربى، نعم هو بلد عربى ولكنه أخطأ ويدفع ثمن الخطأ.

نحن أيضاً أخطأنا فى يونيو ١٩٦٧، وقلنا إننا أقوى قوة ضاربة فى الشرق الأوسط، وأخطأنا مجموعة من الأخطاء السياسية فكانت الكارثة العسكرية لندفع ثمن الأخطاء.

*** صدام**

**د. عمرو عبد السميع:** يحلو للبعض المقارنة ما بين هزيمة صدام فى حرب الكويت، وما بين هزيمة جمال عبد الناصر فى يونيو، هل تعتقد أن هناك تطابقاً فى الحالتين أو تشابها؟

**المشير الجمسي:** هناك تشابه فى الحالتين:

الرجل السياسى هو الذى يلعب الدورالرئيسى فى بدء الحرب أو إيقافها.

جمال عبد الناصر وصل فى وقت من الأوقات أن أصبح بطلاً قومياً عربياً لا يقارن، ولكنه تصرف تصرفات سياسية عشوائية، كانت نتيجتها الفشل العسكرى، وذلك بالإضافة إلى الأخطاء العسكرية الأخرى التى ارتكبها عبد الحكيم عامر.

صدام حسين طبق الأصل من جمال عبد الناصر، فقد اعتبر نفسه نجح فى حرب إيران، وشعر أنه بطل قومى عربى حل محل جمال عبد الناصر، بل وكان فى شعوره الداخلى يحس أن العراق حلت محل مصر، فانزلق فى قرارات سياسية كلها خاطئة وترتب عليها الخطأ العسكرى الرهيب.

**د. عمرو عبد السميع:** بهذه المناسبة، يرى البعض أن حرب الخليج ستكون آخر الحروب الكبيرة فى المنطقة لهذا القرن، ولفترة أخرى من بدايات القرن المقبل، وسند ذلك هو ما يقال عن أن الشق المسلح فى الصراع العربى - الإسرائيلى انتهى باستثناء العمليات التكتيكية المحدودة فى جنوب لبنان - مثلا - فهل توافق على ذلك؟

**المشير الجمسي:** سياسة الولايات المتحدة المعلنة أن الهدف من هذه الحرب، أو أحد أهدافها هو ضمان أمن واستقرار منطقة الخليج، لقيمتها الاقتصادية الكبيرة، وموقعها الجغرافى المهم.

ولكننى أتصور أن النظام العالمى الجديد لن يكون لأمريكا وحدها، وإنما ستبزغ قوى مؤثرة جداً فى عالمنا تضم أوروبا الموحدة بما فيها ألمانيا، والقوى الصاعدة فى آسيا، وغيرها.

ومن الصعب جداً أن نتكهن بأن سياسات هذه القوى بالكامل ستكون متطابقة بالنسبة للصراع العربى - الإسرائيلى، ولهذا فإن لم يحسم الصراع العربى - الإسرائيلى بجهود التسوية الحالية لصالح السلام بما يعنى المطالب العربية والأمن الإسرائيلى، فسوف تبدأ فى المستقبل مرحلة أخرى من الصراع فى هذه المنطقة بين العرب وإسرائيل، وستنضم القوى الكبرى لكليهما - فى تلك الحالة - طبقاً لمصالحها.

**د. عمرو عبد السميع:** الحرب فى أحد تعريفاتها صراع إرادات يستخدم القوة بمعناها الواسع، والقوة العسكرية بمعناها التخصيصى، هل تتصور أن صراعاً عربياً -إسرائيلياً لو نشب فى ظل الظروف العسكرية الحالية يمكن أن يحسم لصالح العرب؟

**المشير الجمسي:** التسوية لا تتم - كما قلت - إلا بالتوازن بين المطالب العربية والأمن الإسرائيلى، وإذا لم يحدث هذا تنشب حرب جديدة.

وأنا لا أستطيع الحديث عن توازن القوى العسكرية بين الطرفين لأننى بعيد

عن السلطة لسنوات طويلة والمعلومات التفصيلية ليست متيسرة بالنسبة لى، وربما يستطيع أحد الرسميين العسكريين الحاليين أن يرد على هذا السؤال.

**د. عمرو عبد السميع:** ولكننى أسأل هذا السؤال فى إطار فرضية نظرية تقول بأن ما نعلمه عن الوضع الدولى العام لا يسمح بأن يكون ميزان القوى فى صالح العرب فى مواجهة إسرائيل، وبالتالى تحسباً لاحتمال - ما كنت تتحدث عنه - من نشوب حرب جديدة بين العرب وإسرائيل، ما الذى تتصور أن العرب يمكنهم تحقيقه ما لم يسمح لهم أبدا بالتفوق فى ميزان القوى؟

**المشير الجمسي:** فكرة ضرورة التفوق الإسرائيلى، هى فكرة يبيعها الأجانب، وقد سمعتها من كيسنجر مباشرة، حين سألته: «لماذا تعطون كل هذه الأسلحة لإسرائيل؟» فأجابنى: «لكى يشعروا بالأمان وبالتالى يتقدمون للسلام».

وأنا أعتبر أن هذا المنطق أكذوبة، ومع ذلك فهو المنطق الذى تقره السياسة الدولية.

كل هذا لا ينفى أن موارد العرب كثيرة وإمكاناتهم كثيرة، ويجب أن يكونوا مستعدين للحظة تتغير فيها المعطيات الدولية لصالحهم.

*** نووى**

**د. عمرو عبد السميع:** مسألة القدرات العسكرية الإسرائيلية تثير تساؤلاً، عما إذا كنتم تحسبون وقت حرب ١٩٧٣ لوجود السلاح النووى فى يد إسرائيل؟

**المشير الجمسي:** كنا نعلم أن السلاح النووى موجود لدى إسرائيل، ولكن سياستها المعلنة أن تستخدم هذا السلاح إذا هددت دولة اسرائيل ذاتها.

استخدام الأسلحة الذرية أو الكيماوية ليس عملية سهلة، وقد تهدد آثارها طرفى الصراع، ومع ذلك فقد كنا نتوقع فى حرب ١٩٧٣ أن تستخدم إسرائيل السلاح الكيماوى ولذلك زودنا جميع القوات بمعدات الحرب الكيماوية.

**د. عمرو عبد السميع:** هذه المسألة يدخل فيها - أيضاً - القرار السياسى، وقد

قلت لى فى بداية هذا الحوار أن القيادة السياسية كانت بعيدة عن تخطيط وتنفيذ حرب ١٩٧٣، ولكن مسألة الحرب النووية أو الكيماوية أعتقد أنها ينبغى أن تُبحث مع القيادة السياسية.. فهل حدث ذلك؟

**المشير الجمسي:** لكيلا أظلم القيادة السياسية، فقد بحثنا الأمر على المستوى العسكرى ووصلنا لنتيجة هى أننا يجب أن نحارب، بصرف النظر عن الخسائر أو نوع السلاح الذى يستخدمه العدو.

وفى هذا السياق أحب أن أوضح أن هناك ضغطاً سياسياً ومعنوياً على الدول العربية مؤداه أن نظل أسرى لفكرة أنه طالما كان لدى إسرائيل الأسلحة الذرية والكيماوية، فإنها ستظل مدى الحياة متفوقة على العرب، وهذا غير صحيح، فالعراق - مثلاً - كان باقياً عليه سنة ليمتلك السلاح النووى بمعلومية كل دول العالم، وبالتالى فالطريق ليس مسدوداً أمامناً تماماً.

ثم إننا دخلنا حرب ١٩٧٣، والعدو له التفوق علينا فى البر والجو والاستطلاع والموقف الاستراتيجى، وعلى الرغم من هذا بدأنا الحرب وانتصرنا، وبالتالى فإن مسألة موازين القوى، والتفوق الإسرائيلى تستخدم نفسياً وسياسياً ضد العرب بطريقة تعجزهم عن الحركة، أو التفكير فى الحركة.

**د. عمرو عبد السميع:** ولكن ألا ترى أن الوضع الذى كنت تحدثنى عنه من أن إسرائيل كانت قد تستخدم الكيماوى فى حرب ١٩٧٣، وأننا اقتصرنا على معدات الوقاية لمواجهة هذا الإحتمال، هو وضع غير متكافئ من الناحية العسكرية؟

**المشير الجمسى:** غير صحيح!

**د. عمرو عبد السميع:** هل كانت للسلاح الكيماوى الإسرائيلى روادع عندنا؟

**المشير الجمسي:** لو كانت إسرائيل استخدمت الكيماوى لكان هناك رد فعل من جانبنا ولن أزيد.

أنا قائد عسكرى، والكاكى ما زال فى دمى ولا يمكن أن أناقش مثل هذا الموضوع فى الصحافة.

**د. عمرو عبد السميع:** وصلاً بالنووى والكيماوى، ما هى رؤيتك وتوقعاتك لآفاق الحد من التسلح فى منطقة الشرق الأوسط؟

**المشير الجمسي:** أتوقع السيطرة على أسلحة الدمار الشامل فى منطقة الشرق الأوسط، وستنجح الدول الكبرى والأمم المتحدة فى ذلك.

أما الأسلحة التقليدية فإن الحد منها يتوقف على نوع الحل السياسى الذى تتبناه الدول الكبرى وبالذات أمريكا وانجلترا وفرنسا للتسوية فى المنطقة وهو أمر صعب جداً.

**د. عمرو عبد السميع:** ما هو وجه الصعوبة؟

**المشير الجمسي:** لأن هذه الدول ذاتها هى مصدر السلاح للمنطقة، وهى ترى أن من مصلحتها السياسية أو الاقتصادية أو الاستراتيجية تقوية دولة أو اثنتين فى المنطقة، بما يدفع طرفاً أو أطرافاً أخرى لإمداد الدول الأخرى فى المنطقة بالسلاح لتستطيع مواجهة الأخطار وهذه - عادة - ما تكون بداية تصارع القوى الكبرى، وفى التحرك من أجل الحد من الأسلحة سواء بتصريحات من واشنطن أو باجتماعات فى باريس، ظهرت أفكار أن تقوم الدول المنتجة للسلاح بالإبلاغ عن الأسلحة التى تبيعها لأى طرف من الأطراف فى الشرق الاوسط، وأنا أشك فى سهولة تنفيذ مثل هذه الأفكار.

ثم إن أفكار التوازن فى الأسلحة التقليدية ستزداد صعوبة، وذلك مع دخول دول المنطقة إلى عمليات تصنيع السلاح بمعونة الدول الكبرى، بما سيضعف من إمكانات الرقابة أو السيطرة على عمليات تملك دول المنطقة للسلاح.

### * فشل!

**د. عمرو عبد السميع:** على ضوء هذا الاعتبار ما هو تقويمك لمستقبل صناعة السلاح العربية؟

**المشير الجمسي**: لا أتوقع لها النجاح.

**د. عمرو عبد السميع**: لماذا؟

**المشير الجمسي**: لأن القرار ـ فى هذا المجال ـ ينبغى أن يكون وليد اتفاق سياسى بين رؤساء الدول العربية التى ستنتج هذا السلاح، ولم يحدث منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن أن اتفق الزعماء العرب على أى هدف سياسى، بما يجعل من المستحيل إيجاد استراتيجية عربية سياسية أو عسكرية، والجامعة العربية أفضل مثل على هذا.

العرب لم يتفقوا على إنتاج أسلحة عربية بمال عربى وجهد عربى وعقول عربية، على الرغم من أن عندنا كل هذه الإمكانات بل أكثر من هذا أن الهيئة العربية للتصنيع حوربت من كل الدول، العربية ولم تنجح فى تحقيق بعض ما تريده إلا بواسطة أربع دول اتفقت فيما بينها - من ضمن ٢٠ دولة - على إنتاج سلاح عربى، ثم حدث خلاف سياسى بين العرب ومصر أوقف الإنتاج الحربى!!

وعلى المستوى القطرى لا يوجد قطر عربى واحد تتكامل لديه مقومات صناعة السلاح سواء المالية أو البشرية أو التقنية.

**د. عمرو عبد السميع**: أعود فأسأل هل يمكن مواجهة مشكلة القوة النووية الإسرائيلية من خلال مفاوضات الحد من التسلح؟

**المشير الجمسي**: لا بد أن تكون القوى الكبرى جادة فى أن تكون منطقة الشرق الاوسط منزوعة السلاح النووى، لأنه لو بقى السلاح النووى فى يد إسرائيل، وبقيت الدول العربية من دون سلاح نووى، فإن الموقف سيكون خطيراً جداً يفتح الباب أمام احتمال أسلحة معينة لدينا لست فى حل من تسميتها أو وصفها.

*** دروس**

**د. عمرو عبد السميع:** ماذا تعلم العرب من حرب ١٩٧٣؟

**المشير الجمسى:** العرب كلمة واسعة ربما المقصود بها سكان ٢١ دولة فى منطقة الشرق الأوسط.

وعلى أية حال فإن هؤلاء - بمعناهم الواسع - بعد حرب ١٩٧٣ لم يضعوا الدروس المستفادة من هذه الحرب موضع التنفيذ، ولكى يستفيدوا من الدروس يجب أن يتفقوا، وهو ما لم يحدث.

لقد إستفادت إسرائيل تماما من دروس الحرب وكذلك مصر وسورية، أما العرب ككلمة واسعة فلا أظن أنهم استفادوا.

الكثير من دروس حرب أكتوبر أشعر أن القوات المصرية استفادت به، وحين أطالع أخبار تطوير الأسلحة بأيد مصرية وأجهزة القيادة الجديدة التى دخلت الخدمة، فإننى أشعر بأن الاستفادة من حرب ١٩٧٣ قد حدثت تماماً.

بل إننى أقول إن حرب ١٩٧٣ هى التى أعطت القوات المسلحة المصرية القدرة على الاستخدام الصحيح لقوتها البرية فى حرب الخليج.

**د. عمرو عبد السميع: كيف؟**

**المشير الجمسي: القوات المصرية بفرقتها المدرعة وفرقتها الميكانيكية، تغلبت على خنادق العراق وموانعه وسواتره الترابية بأسرع وأكفأ ما يمكن، وكانت أول من دخل الكويت، وذلك بخبرة تعاملها مع خطوط إسرائيل الحصينة على ضفة القناة عام ١٩٧٣.**

**د. عمرو عبد السميع:** ما هى رؤيتك لمستقبل القوة العسكرية العراقية خلال ١٠ - ١٥ عاما مقبلة بفرض بقاء النظام العراقى الحالى، وهل ترى أنه بالإمكان للعراق أن يشكل مصدرا لتهديد جيرانه مرة أخرى؟

**المشير الجمسي:** سينتبه الجميع - على المستوى الدولى - لأى تطوير يجرى فى القوة العراقية، بحيث لا يتكرر من العراق ما حدث فى ٢ أغسطس ١٩٩٠.

لن تتضخم قدرة العراق بحيث يهدد جيرانه، أو يصبح له نفوذ أكبر مما يجب فى هذه المنطقة.

لن تستطيع العراق تهديد أى من جيرانها حتى نهاية القرن الحالى على الأقل، وإلا تكون الولايات المتحدة والدول الكبرى قد أخطأت خطأ فادحاً سياسياً واستراتيجياً.

obeikandl.com